مجلة البيان – العدد 8 ، صفر 1408 هـ / أكتوبر 1987

الافتتاحية

.. والحديث مستمر حول حطين

قد يبدو من الغريب أن يتـفـق الخصـوم على الاحتفال بذكرى موقعة كانت نصراً لجانب، وهـزيمـة لجـانـب آخــر ، وأن يتــبــارى الجانبان في إعادة دراسة هذه المعركة وتقويمها واستخلاص الدروس منها.
ولكن هذا الأمر لا ينبغي أن يثير العجب إذا كان حــول معركة مثل معركة "حطين". فإذا كانت هذه المعركة تمثل علامة بارزة في الــتــاريـخ العربي والإسلامي ، وتعتبر وسام فخر واعتزاز لا للقائد الذي قادها - وهو صلاح الدين - فــحــســب ، بل للأمة التي عمل من أجلها ، وللفكر الذي كان صلاح الدين يمثله ، وهو الفكر الإســـلامي - فإنها تعتبر نقطة مهمة في التاريخ العالمي.
فعلى الرغم من أن الصليبيين قد انهزموا فيها هزيمة منكرة ، ولم تقم لهم بعدها قائمة تذكر ، إلا أنهم انكبوا على دراسة النتائج الـتـي حـصـلـــت نتيجة احتكاكهم المسلح بالمسلمين، وعكفوا على الانتفاع من معرفتهم لأحوال المسلمين عن قرب، ومن تحليلهم للعوامل المؤثرة في انتصارهم وهزيمتهم ، وهكذا شكلت مـعـركة حــطــيــن منعطفاً مهماً في حياة الغربيين. وكذلك فإن حوادث التاريخ قد تتشابه ، فاحتلال اليهود لفلسطين ، وإقامتهم دولتهم فيها بمساعدة ومساندة من الغرب الصليبي ، في فــتـرة ضعف وتفرق من المسلمين ؛ وعلى الرغم من مرور أربعين عاماً على ذلك ، ومع هذا ، وعــلــى الرغم مما ينتاب العرب من مصاعب ومآسٍ ، وما يعوقهم من شتات وتناحر ؛ فإن إسرائيل لازالت جسماً غريباً مرفوضاً من الغالبية العظمى للشعوب المحيطة بها ، ولا يبدو في الأفق أي تغير في تقبل هذه الشعوب لهذا الجسم الغريب ، على الرغم مما يجري بين الــحــيـن والآخر مما يسمى بالصلح أو بإمكانية التعايش.
لهذا كله قد يبدو مفهوما أن يتنادى مؤرخو الحروب الصليبية إلى مؤتمر لهم في الــقــدس وحيفا بمناسبة مرور 800 سنة على معركة حطين.
ومن جهة أخرى نجد أن أكثر دولة عربية دعت إلى الاحتفال بهذه المعركة ، إن لم يـكــن غيرة وخجلاً من احتفال الأعداء بها ؛ بينما نحن أولى منهم بذلك ، فلأن الواقع المــؤلــم الذين نعيشه يفرض علينا أن نجند كل طاقاتنا المعنوية إلى جانب الطاقات المادية في وجه الذين يستهدفون عقيدتنا وأرضنا بل وجودنا كله.
وإذا كان احــتــفـــال الدول العربية بهذه المناسبة ينطوي - في جانب منه - على إدراك محمود لأهميتها ومكانتها من مجمل تاريخنا وصراعنا مع قوى الشر ، إلا أنه مما يحز في الـنـفــسِ ، ويــؤلـــم الـفـؤاد، أن يجيء إحياء هذه المناسبة بصورة تخالف عملياً دلالتها الـتـوحــيــديــة. إذ، أي شـــيء أكثر

ألماً وأقسى أثراً من احتفال كل دولة على انفراد، وبطريقتها الخاصة ؛ بهذه المعركة الخالدة ؟.
أليس من التناقض ، بل ومن السخرية والهزء بمعانيها وبالأهداف التي عمل لها قائدها: صلاح الدين ؛ أن نحتفل بها ، بينما نطبق عملياً فكر من هزمهم صلاح الدين ، ونرفع بيننا حدود من أجلاهم صلاح الدين ، ونعمق معاني العصبية والإقليمية والطائفية التي حاربها صلاح الدين ؟.
ثـم ألــيــس من الـفـكـر المشوه الذليل، والترديد الممجوج الثقيل، الذي يمثل غباء في فهم التاريخ وإصراراً عليه؛ ما نقرأه للأمين العام للجامعة العربية في هذه المناسبة حيث يقول:
"... إن الحروب التي سميت بالصليبية ؛لم تكن حقيقة صراعاً بين الإسلام والمسيحية بقدر ما كانت صراعاً بين مشروع استعماري، وبين مقاومة وطنية، وقد حلل المؤرخون الغربيون هذه المسألة ، ودعوا إلى كثير من الحذر في تصديق النظرية القائلة بأن هذه الحروب تمثل صراعاً دينياً...".
هل يدعي حضرة الأمين العام أن العلاقات بين الإسلام والمسيحية منذ أن ختمت الرسالات برسالة الإسلام إلى يوم الناس هذا كانت سمناً على عسل!؟ وهل يستطيع أن يرشد الناس إلى خط السلام المضيء الذي قابلت وعاملت به المسيحية الإسلام في أي بلد جاورته فيه ؟؛ وهل الراهب بطرس الذي أطلق صيحاته المسعورة في جَنَبَات أوربا ؛ يستعديها ويستنفرها (لاستنقاذ قبر المسيح من الكفار) ، لأن الفرصة لائحة وقد لا تتكرر ؛ لم يكن مسيحياً ، بل علمانياً ملحداً من الهراطقة ، قد حكم عليه "بابا روما" ومجلس الكرادلة بالحرمان لأجل ذلك!!؟.
بل هل كان قادة الحروب الصليبية من أمثال: فريديك بربروس الألماني ، وفيليب أوغست الفرنسي ، وريتشارد قلب الأسد الإنكليزي ، ولويس التاسع ، وغيرهم وغيرهم ؛ نقول: هل كانوا ممن عوقبوا بالحرمان ، وطردوا من رحمة الكنيسة!؟ ثم ما هذه المصطلحات: مشروع استعماري ... مقاومة وطنية!.
هل كان مصطلح: "الاستعمار" قد خرج إلى حيز الوجود في ذلك الزمن البعيد ؟.
وهل كانت كلمة "مقاومة" قد ترجمت وأقحمت في اللغة العربية إقحاماً متعمداً ، وأبعدت كلمة "الجهاد" وغيرها ذات المدلول والمفهوم الإسلامي عن طريقها ، إرضاءً لخواطر الغربيين وعبيدهم الذين يدين أمين جامعتنا العربية العتيدة لمرجعيتهم الموثوقة بالولاء!.
وهل كان لكلمة "وطن ووطنية" المدلول نفسه الذي ترسخ في وعي المسلمين خلال المائة سنه الأخيرة؟!.
أيــن المصطـلـحــات التي لـم تنهزم أمام زحوف الصليبيين السوداء، ولم تختف وتغرق في وديان الدماء التي أراقها هــــؤلاء في استباحتهم كل مدينة إسلامية دخلوها = مصطلحات الجهاد في سبيل الله ، والمرابـطــة في الثغور

للدفاع عن حياض الإسلام ، تلك المصطلحات التي لم تستجلب استجلاباً من لـغـات اليونان واللاتين ، ولا من أدبيات الشرق والغرب، وإنما كانت نابعة من تراث هذه الأمة ومن دينها وعقيدتها.
ليس عندنا شيء نقوله... وليس لنا تاريخ نرجع إليه ونستقي منه العلم بالأحداث وفهمها وتحليلها ، ولذلك فليس لنا إلا "المؤرخون الغربيون" ، وهم قد حللوا - فيما حللوا - هذه المسألة ، وحذروا من تصديق مقولة: أن الحروب الصليبية هي صراع بين الإسلام والمسيحية! وعلينا أن نحذر ، وإلا فالويل لنا إن لم نحذر!!.
وتـكـمـلـــة لتحليل المؤرخين الغربيين الأمناء فقد توصلوا إلى أن مشعلي الحروب الصليبية كانوا متآمرين على عقيدة الصليب ، خارجين على تعاليم الكنيسة ، وما هزموا إلا عقوبة لـهـــم على ذلك! أليس من أعمدة تعاليم السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام): من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ؟!.
إلى هذه النتيجة يجب أن ننتهي ، وإلى مثل هذا التخريف ينبغي أن نصغي ، وبمثل هذا الفكر المريض نحس ذكرى حطين، أليست مناهجنا التعليمية تردد مثل هذا الهراء وتحقنه دون بقية من خشية أو حياء ؟.
لا يصلح الناس فوضى لا سَرَاة(1) لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا...!
لقد كتب الكثير عن حطين وعن صلاح الدين ، ولكن ما نود ترديده وتأكيده في هذا المكان هو أن صلاح الدين سلك إلى النصر الطرق الصحيحة، وأعد الأمة للمواجهة إعداداً متكاملاً فـكـان الـتـفـكير بالجهاد وإعداد العدة له يسير - جنباً إلى جنب - مع الإصلاح الداخلي لأحوال الأمة ، فعدل كثير من الضرائب المضروبة بغير حق ، وأصلح فكر الأمة ، فحارب العقائد الفاسدة التي تفتُّ في عضدها وتفرق كلمتها ، وشجع العلماء ، وأشاع العدل.
وقـد عـكـس مـــؤرخ مـعـاصـــر للحروب الصليبية (وهو وليم الصوري) تخوف الصليبيين واحترامهم لصلاح الدين في الوقت نفسه، وحسابهم الحسابات للمواجهة معه فقال: "إن أي نمو في قوة صلاح الدين إنما هو مجلبة لتخوفنا ، فهو رجل حكيم عند إسداء الرأي ، مقدام في الميدان ، وغاية في الكرم".
ويلخص بهاء الــديــن بن شـــداد صاحب النوادر السلطانية مفتاح شخصية صلاح الدين بقوله: "كان كل كلامه يدور حول الجهاد ، وكل تفكيره منصباً على القتال ، ولم يكن يهتم إلا بمن حمل السلاح ، ولا يعبأ بأي شخص له مقاصد أخرى".
فالفكر الجهادي هو الفكر الذي آمن به صلاح الدين ، ولم يدر بخلده - بعد الاحتلال الصليبي الطويل - أن يضع عن كاهله عبء الجهاد ، ولم تحدثه نفسه أن الأمة قد تعبت من الحرب ، وأنه لابد من الاعتراف بالأمر الواقع ، والتسليم بحقائق الأمور ، ولم يكن يحركه مثل هذا التفكير ليرسم الخطط ويتصالح مع

العدو ، ويلتقي معه على موائد المفاوضات في منتجعات سرية ، أو في ردهات قصوره! لا ، فقد كان -كما وصفه أبو شامة-"... شديد المواظبة على الجهاد ، عظيم الاهتمام به ، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد ، وفي الإرفاد ؛ لصدق وبّر في يمينه ، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسائر ملاذه ، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة" (الروضتين222).

وكانت نظرته إلى الجهاد ليست نظرة مرهونة بالواقع الذي يحيط به ، ولا تمليها عليه المواجهة مع الصليبيين فحسب ، بل هي نظرة مأخوذة من صلب العقيدة الإسلامية في مراميها ومقاصدها ووسائلها = جهاد دائم لأعداء الله على كل أرض ، وحيث قدر الله له أن يكون. انظر إلى ما يفضي به إلى صديقه ومستشاره: "القاضي الفاضل":

"متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل ، قسمت البلاد وأوصيت ، وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم ، أتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت" (2).

غاية واحدة ، وهمة عالية ، أين منها همم كثير من مدعي البطولات في هذه الأيام ، الذين تقاصرت هممهم فلم تعد تتجاوز ظل كراسيهم المهزوزة ، وانحصرت اهتماماتهم في غايات ما أبعدها عن طرق العزة والمجد ، ومما أقربها من الضياع الشخصي والاجتماعي.

الهوامش:

1- السراة: جمع سري جاء على غير قياس: وهو الشريف الرفيع ، أو هو اسم مفرد للجميع كنفر ورهط ، وليس بجمع.

2- الروضتين ، ص 222 نقلاً عن البيان /العدد السادس.

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

أحوال المسلمين في السودان

إشراف : محمد عبد الله

تحدثنا في العدد الأول من هذه المجلة [ذي الحجة عام 1406] عن المجاعة التي تتعرض لها السودان.. واستنكرنا تنافس الأحزاب على الانتخابات ، وأنها أنفقت بضعة مئات من الملايين من الدولارات ، وقلنا:

لو كان زعماء هذه الأحزاب يعيشون مشكلة المجاعة لجمعوا هذه الأموال ، وشكّلوا حكومة هدفها إنقاذ ربع السودان من موت يهددهم..

وقلنا أيضاً:

"لقد بات من المؤكد أن الاتحاد السوفييتي يمول الحزب الشيوعي كما يمول بشكل غــيــر مباشر التمرد في جنوب السودان ، كما بات من المؤكد أن

الولايات المتحدة الأمريكية تمول وتراهن على حزب آخر [من الأحزاب القبلية الكبيرة] ، وهي التي كانت وراء مصـالـحة نميري مع زعيم هذا الحزب..
وهناك أنظمة تمول أحزاباً أخرى ، **ولا نعتقد أن نـتـائـج المعركة الانتخابية سوف تكون في مصلحة السودان ، مهما كانت النتائج**".
وعندما قلنا بأن هذه النتائج ليست في مصلحة السودان مهما كانت هذه النتائج ، ما كـنا ننجم أو نرمي بالكلام على عواهنه.. وما اعتدنا هذا ولا ذاك والحمد لله.. ولكـنـنا كـــنا نعتمد على معلومات دقيقة من أهمها: مسيرة ما يسمى بالديمقراطية في منطقتنا ، وقد ثبت فشلها ، والذين ابتدعوا هذا النظام ، هم الذين يحركون [العساكر] إذا تجاوز السياسـيـون الخطوط الحمراء التي رسمت لهم، أو إذا كانت مسيرة الديمقراطية تخدم تطلعات المسلمين ومن الجدير بالذكر أن الديمقراطية شيء والحرية في ظل النظام الإسلامي شيء آخر ، ولا لقاء بين النظامين.
ونـعـتـمـد أيضاً على معرفتنا لتاريخ الأحزاب في العالم العربي ، وهذه الأحزاب صـنـعـهـا المستعمرون وعملاؤهم في بلادنا.. فهي أحزاب علمانية يعتمد معظم قادتها سياسة المراوغة واللف والدوران وتضليل الشعوب... ويتخذون هذه الأمور كلها ديناً لهم.
والأحزاب السودانية الحاكمة لا تخرج عن هذا الإطار ، فتاريخها يشهد على أنه لــيـس هناك مناهج تنتهجها ، ولا ضابط يضبطها ، فإذا اصطدمت طموحات القادة اختلفوا مــع بعضهم ، وتحالف كل طرف مع أحزاب أخرى ، ولا يتورعون في استخدام أية وسيلة ضد خصومهم ، ويستحيل أن يستمر ائتلاف حزب مع حزب آخر؛ فالثقة مفقودة.. ويـبـقـــى الائتلاف طالما بقيت مصلحة ، وإذا شعر أي حزب من هذه الأحزاب بقدرته على الانفراد في الـحـكـم ولـــو عـــن طريق انقلاب عسكري لا يتوانى لحظة واحدة في هدم ما أسـمـوه ديمقراطية .. وهؤلاء جميعاً تعاونوا مع النميري ثم يتهمون بعضهم بهذا ، ويـتـنـاسـون أنفسهم ، ولو حقق الحاكم العسكري السابق لأي حزب ما يريده أو بعض ما يريده لسارت الأمور بينه وبينهم على أحسن ما يرام.. ولكن الحاكم العسكري السابق لا يقل عنهم جشعاً وحباً للسيطرة والهيمنة.

ونـعـرض فـيـمـا يـلـي بـعـض التطبيقات والشواهد التي تؤكد صحة ما توقعناه من هذه الأحزاب:

بعد عام من الائتلاف الحكومي استقالت الوزارة وقال الرئيس عن سبب الاستقالة: " رغم وضوح سياسة الحكومة إلا أن الـــوزراء أخفقوا في تطبيقها.. وقال: إن التراشقات حدثت بين بعض الوزراء ، كما أن بعضهم أساء للحكومة" ، والشاهد هنا قول رئيس الوزراء [.. إلا أن الوزراء أخفقوا...] وما لم يقله رئيس الوزراء ويبدو أنه لا يريد أن يقوله قاله وزير التجارة السابق محمد يوسف أبو حريرة ؛لقد هاجم الحزب الذي ينتمي إليه- الحزب الاتحادي الديمقراطي- بسبب سيطرة التجار الجشعين عليه ، وهاجم الحكومة لأنها لم

تضع حداً للفساد والرشاوي ، وكان الوزير قد شن حملة ضد من وصفهم بـ "طفيلي السوق" بمن فيهم المهربون وتجار السوق السوداء ، واتهم الحكومة والـقــصـــر الجـمـهوري علناً بالتساهل في قوانين الفساد ، وعند تشكيل الحكومة الجديدة كانت النية متجهة إلى تعيين أبو حريرة في وزارة أخرى ، لكنه سارع وأعلن استقالته.
والسؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح: كيف كانت الأوضاع العامة في السودان في ظل حكومة الائتلاف؟!.
والجواب على ذلك محزن جداً: ففي الغرب مصادمات ذهب ضحيتها [1500] حسب رواية بعض وكالات الأنباء ، و [2000] حسب رواية علي تاج الدين عضو مجلس رأس الدولة لرويتر.. وقال أيضاً -أي: علي تاج الدين- :
إن قيام جماعات مسلحة بسرقة الماشية في مناطق ريفية يشكل أخطر تهديد للأمن ، ومن جهة أخرى فهناك قوات ليبية كانت قد دخلت غرب السودان لمهاجمة تشاد ، وكأن هذه المنطقة دارفور ليست داخل إطار دولة مسؤولة عن أمنها وحدودها.
وفي الجنوب: اشتد بأس قوات ما يسمى بـ "حركة تحرير السودان" التي يتزعمها "قرنق" ، واحتلت "الجكو والبيور" بمساعدة أثيوبيا ، ومن المؤسف أن قرنق يملك أسلحة لا يملكها الجيش السوداني ، بل و لا تملك حكومة الائتلاف المال الذي تسلح به الجيش السوداني الذي يجد نفسه عاجزاً عن حفظ الأمن في الغرب أو الجنوب.
وأصبح السطو المسلح في معظم أرجاء السودان جريمة عادية.. وهناك ندرة في توفر بعض البضائع الضرورية كالسكر والصابون ، وكانت البطيخة الواحدة في شهر رمضان الفضيل تباع بسعر قدره [35 جنيها] ، وتحويلات المواطنين من الخارج تناقصت لأن التضخم يرتفع سنوياً بنسبة 40%.. واضطرت الحكومة إلى استيراد اللحم وكانت السودان مشهورة بتصديره.. كما تستورد السكر والنفط.. وعائدات الدولة لا تساوي نصف حاجتها ، ولم ترد الحكومة لصندوق النقد الدولي شيئاً ، أما الصناعات فقد أصيبت بضربة قاتلة ، لأن المصانع السودانية تحتاج إلى [20 مليون دولار] شهرياً والحكومة لا تملك مثل هذا المبلغ حتى ولا نصفه.. أما السكك الحديدية فبعضها قد تعطل ، وبعضها يحتاج إلى صيانة عاجلة ، وهذا من الأسباب التي لا تمكن الجنود السودانيين من أداء واجبهم.. والمجاعة تزداد حدتها ، وتجد الحكومة نفسها عاجزة عن نقل الطعام لبعض المناطق التي تنتشر فيها المجاعة.
في ظل هذه الأوضاع الرهيبة تشكلت حكومة جديدة ، وكانت الوجوه هي الوجوه باستثناء أفراد قلائل ومنهم الذين لا يحظون بثقة الجشعين من التجار ، وهناك صراع مكشوف بين الحزبين الحاكمين ، فالاتحادي يتهم الأمة بتزوير الانتخابات ، وتعيين العناصر الأنصارية في المراكز المهمة في الدولة كالجيش

والشرطة.. ويتهم الاتحادي الأمة أيضاً بأنه يحاول الانفراد في السلطة ، ويحاول استقطاب عناصر مهمة من الحزب الاتحادي بقصد تقويضه.
والخلاف بين الحكم والمعارضة على أشده ، ولم يستطع رئيس الوزراء إقناع حزبه بإشراك المعارضة في الحكم..
ومن هذا المنطلق نقول:
إن البدايات الخاطئة تقود إلى نتائج خاطئة ، وحكومة هذه حالها عاجزة عن إنقاذ السودان وحل مشكلاته.
والأنكى من ذلك أن الحزبين الحاكمين لهما جذور إسلامية ، وهذه الجذور أكسبتهما شعبية منذ القديم ، فأحدهما يعتمد في شعبيته على المهدي ودعوة المهدي ، والآخر يعتمد على الطائفة الصوفية الختمية ، ورفع الحزبان شعار القوانين الإسلامية في معركة الانتخابات.. والآن يعارض الحزبان بأسلوب ماكر تحكيم الشريعة الإسلامية ، لأنها قوانين نميري ، فهل هناك إسلام نميري ، وإسلام الاتحادي ، وإسلام المهدي؟ أليس الإسلام واحداً يا دهاقنة السياسة؟!.
والغريب أننا نجد أهل الحل والعقد في كل حزب قسمين: العلمانيون وهم الأغلبية ، وغير العلمانيين وهم قلة ، وفهمهم للإسلام مشوه وغير سليم ، والعلمانيون يعارضون تحكيم الشريعة الإسلامية.. ويتحالفون من أجل الصد عن سبيل الله مع كل عدو للإسلام والمسلمين داخل السودان وخارجه.. ولقد تحالفوا فعلاً في الستينات مع الشيوعيين واليساريين والصليبيين.. وهم يتحالفون اليوم مع الصليبيين والوثنيين ، وقد رفضوا اشتراك المعارضة الإسلامية في الحكم ، وقبلوا الصليبيين والوثنيين ، والمثل يقول: تسألني من تعاشر أسألك من أنت!!.
وقادة هذين الحزبين قادرون على تخدير مشاعر المسلمين أو معظم المسلمين في السودان.. فهم يتحدثون عن سعيهم الحثيث من أجل استبدال قوانين نميري -كما يقولون- بقوانين صادق!!! ويحركون من جهة أخرى حلفاءهم ليعارضوا بشدة سن قوانين إسلامية ، وقد تمضي بضع سنين على هذه الحال.
إن الوضع خطير وخطير جداً في السودان ، فهناك مؤامرات عالمية تستهدف وحدة هذا البلد الطيب ، ويشترك في هذه المؤامرة: الأمريكان ، والسوفييت ، واليهود ، والصليبيون.. وهناك أدلة على ذلك لا يجادل في صحتها مطلع على الأحداث ، ومن يقرأ تصريحات بعض السياسيين والعسكريين السودانيين يجد بأنهم توصلوا لهذه القناعة. فقد سئل اللواء الركن عبد الله أبو قرون قائد منطقة بحر الغزال العسكرية عن تورط جهات خارجية بحرب الجنوب؛فأجاب: "نحن لا نتحدث عن طلاسم ، فهناك إذاعة معروفة تابعة للقوات المتمردة تبث من داخل الأراضي الأثيوبية ، وهناك مكاتب علنية للمتمردين في عدد من الدول الأوربية. والبعض يقدم الدعم بحجة أن قرنق مسيحي وتجب مساعدته ، والبعض يقدم مثل هذا الدعم بحجة أن حركة المتمردين حركة اشتراكية.. ثم

إننا أوضحنا أكثر من مرة وبالأدلة الملموسة أن قرنق يحصل على مساعدات عسكرية من الدول الشرقية والدول الغربية على حد سواء ، وهو يملك الآن أسلحة متطورة كما يملك بطاريات مدفعية مضادة للطيران ، فضلاً عن مدافع ثقيلة...".
[عن المجلة العدد386 تاريخ 7/7/1987].
ومؤامرة بهذا الحجم من التخطيط والإعداد تتطلب من دعاة الإسلام في السودان أن يوحدوا صفوفهم ، وينهضوا ليؤدوا الدور المطلوب منهم داخل السودان وخارجه ، ونصيحتنا لهم نلخصها فيما يلي:
1 -ليس هناك إسلام نميري ، وإسلام غير نميري ، فالإسلام كل لا يتجزأ ، ولا يجوز أن يتقدم العقل على نصوص الكتاب والسنة ، ومن أطلق العنان لعقله القاصر ، وراح يلوي أعناق النصوص لتوافق أهواءه كان ضالاً مضلاً ، وإن زعم بأنه داعية.. وإن طبَّق صيته الآفاق.. ونحن ندين الله بمنهج وأصول أهل السنة والجماعة وهو ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة خير القرون المفضلة ، وليس بقول هذا أو رأى ذاك.
2-ثبت تاريخياً أن هذه الديمقراطية المزعومة في بلادنا لا تخدم الإسلام والمسلمين ، والذين ابتدعوها عندهم من الوسائل ما يمكنهم من قطع الطريق على الإسلاميين إذا تجاوزت هذه الديمقراطية الإطار المرسوم لها كما قلنا في مقدمة هذا المقال ، ومن جهة أخرى فتحكيم شرع الله لا يخضع لرغبة الأقلية والأكثرية ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تقام الحدود ، لأن الأكثرية أرادت ذلك ، وفي دورة أخرى تتغير الأكثرية فتلغى قوانين إقامة الحدود ، والانتخابات لا تعبر بالتأكيد عن رأي الأكثرية فهناك التزوير ، وهناك الأموال والرشاوى ، وهناك الإعلام ، وهناك الطائفية والقبلية.. وهذه الأمور تلعب دوراً مهماً في اختيار الممثلين ، فقد تختار قبيلة من القبائل شيوعياً لأنه من أعيان القبيلة مع أن جمهور القبيلة من المصلين.
3-يجب أن يبين العلماء والدعاة في السودان للمسلمين فساد الأحزاب الحاكمة ، ويكشفوا تاريخها الأسود ، وعقائد وأخلاق العلمانيين فيها..
ومواقفهم القديمة والحديثة من مسألة تحكيم الشريعة الإسلامية ، ويفضحوا مصادر تمويل هذه الأحزاب ، ومن جهة أخرى لابد من كشف تحالفات الصوفيين والخرافيين مع العلمانيين.. وكيف يستغلهم العلمانيون في حرب الإسلام والمسلمين؟ وكيف يقدم الصوفيون والخرافيون مصالحهم على كل شيء؟ لقد استغلهم الطاغية السابق أبشع استغلال ، وكان يزعم أنه واحد منهم..
4 -نسأل الله أن يشرح قلوب الذين يحاورون قرنق وغيره للحق ، هؤلاء الذين يقولون له: تحكيم القوانين الإسلامية في الشمال ، وفى الجنوب يختار الشعب ما يريد من قوانين.. ألا يعلم هؤلاء أن الذين صنعوا ثورة "قرنق" لا

يقبلون وحدة السودان حتى ولو احتكم الناس فيها إلى شريعة ماركس أو إلى شرائع الغرب؟!.
ومن ثم فقرنق عميل لا يملك من أمره شيئاً ، ولا ندري كيف يحكم بلد عدة شرائع مختلفة والنصارى فيه لا يتجاوز عددهم 5%؟!.
إلى متى يمضي هؤلاء في المساومات والتنازلات وهم يقرأون قوله تعالى: ((فَلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ * ودُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)) [القلم /8 ، 9]؟
لابد أن ننصح إخواننا هؤلاء ونفند شبهاتهم ونرد عليهم ردوداً علمية متزنة ، ونحذرهم من مغبة السير في سبل معوجة ، ومن تفسير الإسلام تفسيراً يتناسب مع مواقفهم السياسية الغوغائية المتقلبة.
5 -فهم الواقع المعاصر فهماً دقيقاً ، والتعامل مع هذا الواقع كما يأمرنا جل وعلا دون إفراط أو تفريط.. فالذين ظنوا أن النميري سيحكِّم لهم شرع الله جهلوا أو تجاهلوا حقائق كثيرة منها: تاريخ النميري ، والعقلية التي يفكر بها ، وحرصه على بطانة معينة وقفت معه في جميع الأطوار التي مر بها.. وهذا الكلام وغيره قلناه أيام النميري ولم نحسن الظن به يوماً واحداً.
والـذيـن يـظـنـون أن الـنـظـام الـديـمـقـراطـي سـيـحـكِّم لهم الإسلام يجهلون طبيعة النظام الديمقراطي ، أو يجهلون النظام الإسلامي، أو يستخفون بعقول الناس، والذين يظنون بأن الإسلام قوانين تعدل ، وتبقى أحزاب وتجمعات تعرب عن كفرها بالإسلام ، وتتربص به الـدوائـر، وتـجـاهـر بـذلـك كـلـه، فهؤلاء مفرطون في جهلهم، وإذا أقيمت الحجة عليهم، وأصروا على مواقفهم السياسية فهم مبتدعون ، نسأل الله لهم الهداية والاستقامة.

وبعد:

هذه هي مشكلات السودان عرضناها باختصار.. ومع قناعتنا بأن وحدة جهود العاملين للإسلام في هذا البلد الطيب سيكون لها أثر فعال لا يستهان به.. مع ذلك فالمؤامرة أكبر من حجم وإمكانات دعاة الإسلام في السودان ، ومن حقهم على إخواننا المسلمين في العالم أن يمدوا لهم يد العون والمساعدة.
والمساعدة ليست قاصرة على المال ، ولا نستهين بدور المال في مثل هذه المعركة ، ولكن المساعدة تتطلب وجود مؤسسات قوية تعمل في جنوب السودان و غربه ، بل وفي جميع أرجائه ، فما من مكان في هذا البلد الكريم إلا وقد دخله المبشرون.. وهذه المؤسسات يجب أن تشمل التعليم والعلاج الصحي والإغاثة ، والأهم من ذلك كله الحاجة إلى دعاة متفرغين ينشرون الإسلام بين القبائل الوثنية وبين المسلمين الجهلاء..
وعلى العلماء ودعاة الإسلام أن يعقدوا المؤتمرات والندوات التي يفضحون فيها مخططات الأمريكان والسوفييت والنصارى واليهود في السودان.. ويجب أن تنبثق عن هذه المؤتمرات والندوات لجان تعمل وتنشط بصدق وأمانة وأن لا يكون عملها دعاية لحزب من الأحزاب أو جهة من الجهات.

وأخيراً: لا ينقضي عجبنا من خوف حكومة الائتلاف من الحبشة مع أن الحبشة عبارة عن جزيرة صغيرة في بحر متلاطم من المسلمين.. ولو كانت المعركة إسلامية حقاً يقودها العلماء والدعاة المتجردون ، وتحرك المسلمون في البلدان المجاورة للسودان فقط كمصر ، وليبيا ، وتشاد ، والصومال ، وارتيريا ، والمسلمون في الحبشة نفسها.. لو كان الأمر كذلك لشعر الصليبيون بحقيقة حجمهم ، وشعر أعداء الله كلهم بصغارهم وهوانهم.
والمجلة يسرها أن تتلقى المساعدات للمسلمين في السودان وفي شرق أفريقيا كالصومال وارتيريا وأوغندا، كما يسرها أن تتعاون مع المخلصين لتحقيق الأهداف الإسلامية المرجوة، والله ولي التوفيق.

أفريقيا وإسرائيل مرة ثانية

أوردت جريدة الأندبندنت في 19 / 6 / 1987م نقلاً عن وكالة الأسوشيتدبرس ، النبأ التالي:

ذكـرت صحـيفة (هاآرتس) :أن شـركـة صـناعة الطائرات الإسرائيلية التي تملكها الدولة ستقوم بفتح مركز للتدريب في نيجيريا على الرغم من القطيعة الدبلوماسية بين هذه الدولة الأفريقية وإسرائيل منذ (14) عاماً.
ويقــول الـتـقـرير: إن قـائــد القوات الجوية النيجيرية كان قد زار الجناح الإسرائيلي في مـعـرض بـاريـس الجوى يوم 16 / 6 /1987م ، فيما يبدو للترتيب لفتح المركز ، هذا ولم تعط الجريدة أيــة تفاصيل أخرى ، فيما قامت شركة صناعة الطائرات الإسرائيلية مؤخراً بنفي ما جاء بالتقرير.
ومما يذكر :أن روابـط إسـرائـيــل السرية مع دول أفريقيا السوداء كانت قد شملت تدريب الحرس الرئاسي في زائير ، وتزويد المغرب بالمعلومات في مجال الاستخبارات ، وكذلك إرسال الأسلحة إلى أثيوبيا.
وقد درجت إسرائيل على نفي هذه العلاقات تجنباً للإحراج الذي قد تسببه للدول الأفريقية ، إلا أن المسؤولين قد اعترفوا عبر قنوات خاصة أن الإيماءة إلى هذه العلاقات قد تفتح الباب لعلاقات دبلوماسية مستقبلية.
هذا وكانت نيجيريا من بين تسعة وعشرين دولة تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل في أعقاب حرب الشرق الأوسط عام 1973م.

ولنا على هذا النبأ الملاحظات التالية:

إن التعاون الجديد المزمع البدء به بين الكيان اليهودي ودولة نيجيريا والذي تحدثت عنه جريدة "هاآرتس" الصهيونية يعد إضافة جديدة إلى سجل التعاون الذي سبق وأن شرعت به الدولتان منذ الأعوام التي تلت حرب عام 1973 ، وأن هذا التعاون الذي يمثل طفرة أخرى تحققها إسرائيل في مسلسل مخططها الهادف إلى فك عزلتها الدولية على وجه العموم ، وتعميق تغلغلها في هذه القارة على وجه الخصوص ، ذلك المخطط الذي قطعت فيه إسرائيل شوطاً بعيداً يأتي متزامناً مع اشتداد وطأة الهجمات التي تتعرض لها هذه

القارة على يد الصليبية العالمية التي أخذت في أيامنا هذه تلبس لبوس الإنسانية المتمثلة في مد يد العون والإغاثة إلى بعض الشعوب المنكوبة في هذه القارة التي تعيش المحن تلو المحن وتئن تحت وطأة النكبات ، تلك المساعدات التي اتخذت أشكالاً شتى ، من إغداق الأموال وبناء المستشفيات وتوفير المواد الغذائية ، كما أنه يأتي في وقت تكاد تخلو فيه هذه القارة التي شكل المسلمون فيها نسبة لا يستهان بها من أي عمل إسلامي منظم بالمستوى المطلوب يتناسب مع ما تحيكه أيادي الصليبيين واليهود وربيبتهم الشيوعية التي هي الأخرى ماضية في مؤامراتها البشعة ضد شعوب هذه القارة.
إن إسرائيل التي تدرب الحرس الرئاسي في زائير ذات الولاء الغربي وتتعاون مع دول أخرى غربية الولاء ، هي ذاتها التي تزود النظام الدموي في أديس أبابا ذا الولاء الماركسي "التقدمي" بالسلاح ، كيف لا وهو الذي كان الأداة الفعالة في عملية تهجير يهود الفلاشا في الماضي القريب ، وهو اليوم أداة في تذبيح أبناء شعبنا المسلم في أرتيريا ، وليس هذا الذي تقوم به إسرائيل بغريب على من اطلع على ماضي الشيوعيين ووعى حقيقتهم من خلال مواقفهم المخزية تجاه شعوبهم وأوطانهم ، فلطالما التقت مصالح اليهود مع الشيوعيين ، لقد التقت عام 1948م عندما انحاز الشيوعيون إلى اليهود وأدانوا دخول الجيوش العربية إلى فلسطين لمحاربة اليهود ، وهكذا فإن إسرائيل لا ترى بداً من دعم أي نظام ماركسي "تقدمي" كالذي في أثيوبيا ، تجد فيه ضالتها كي تنال من أبناء المسلمين أينما حلّوا.
لم يعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين دولة وأخرى- لاسيما في حالاتٍ كتلك التي مع إسرائيل- يمثّل مؤشراً على توقف التعامل بينهما ، بل على العكس من ذلك ، فكثيراً ما تكشف علائق حميمة ولقاءات وزيارات متبادلة ، كانت في طي الكتمان ، بين قادة دول لا يوجد بينها أي نوع من العلاقات الرسمية في الظاهر ، بل القطيعة الكاملة وإشهار العداء أكثر بكثير مما عليه حال كثير من الدول التي تربطها علاقات دبلوماسية كاملة. فلم يعد "فَنُّ" قطع العلاقات الدبلوماسية أو تخفيضها سوى ستار يُسدل كلما دعت الحاجة ، ليكون حاجباً بين الشعب وبين ما يرسم من سياسات ومخططات تخص تلك الدولة ، حتى إذا ما نضج كل شيء رُفع الستار ليواجه الشعب ما فات الأوان لتداركه.
إن ما حققته إسرائيل خلال السنوات القليلة الماضية - وما تحققه اليوم أعظم- من أن يطرق عبر أسطر قليلة كهذه ، ولقد سبق وأن تكلمنا في عدد سابق عن التغلغل اليهودي في أفريقيا ، وعن الأمر الذي بات ينذر بالخطر من جراء شروع عدة من الدول الأفريقية ، من بينها دول ذات أغلبية مسلمة ، بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل ، واليوم وبعد انقضاء أشهر معدودة على نشر ذلك المقال تطالعنا كبريات الصحف بأنباء النجاح الذي حققته وتحققه إسرائيل في مجال كسب أصدقاء لها في أفريقيا ، لقد تمكنت

إسرائيل من جر دول جديدة غير التي ذكرت في المرة السابقة إلى صفها ، فقد أعادت دولة "توغو" علاقاتها الدبلوماسية كاملة ، في حين باتت كل من غينيا الاستوائية والغابون على حافة إعادة تلك العلاقات. ويرى المراقبون السياسيون في "سيراليون وأفريقيا الوسطى" مرشحين محتملين للحاق بمن سبقهما. وكان إسحاق شامير (رئيس وزراء إسرائيل) حسبما أوردته جريدة جروزاليم بوست ، قد رد دعوة وجهت إليه لزيارة غينيا الاستوائية إبان جولته الأفريقية احتجاجاً على عدم إعادة غينيا لعلاقاتها مع إسرائيل على الفور!(1).
ومن المعلوم أن معظم الدول الأفريقية (سوى ثلاثة هي: ملاوي ، ليسوتو ، وسوازيلاند) كانت قد اتخذت مواقف مؤيدة للدول العربية بشأن النزاع مع إسرائيل لاسيما في أروقة الأمم المتحدة ، وذلك في مقابل دعم الدول العربية لها ضد نظام جنوب أفريقيا وحظر تصدير النفط له. وكان هذه الدول فعلاً قد تلقت مساعدات مالية من الدول العربية بلغت ملايين الدولارات إبان فترة ارتفاع عوائد النفط ، وتستغل إسرائيل الظروف الراهنة على أتم وجه ، فهي من جهة تستغل حالة التردي الاقتصادي الذي عم أغلب الدول العربية لاسيما النفطية منها وعجزها عن مواصلة دعمها لهذه الدول بالشكل الذي كانت عليه إبان ما يسمى بـ "طفرة البترول" ، فلم يعد هناك ما يبرر بقاءها إلى جانب العرب ، فقد انحلت الآصرة التي كانت تربط الطرفين (الآصرة المالية) ، وهي من جهة ثانية تتمتع بما آلت إليه أحوال الدول العربية من اضطرابات وفوضى وانقسامات في الآراء السياسية فيما يتعلق بمستقبل العلاقات مع إسرائيل وطريقة التعايش معها ، تلك الفوضى وذلك الانقسام المعلن الذي وصل ذروته في أعقاب الزيارة التي قام بها الفرعون الصغير إلى فلسطين المحتلة وما تلاها من لقاءات متبادلة معه معلنة وغير معلنة مع بعض العرب ، في ظروف كهذه وجدت إسرائيل ضالتها ، فأخذت تتحرك في كل صوب وجهة من أجل بلوغ مراميها ، وبدأت إسرائيل تعرض خدماتها المختلفة لهذه الدول التي هي بأمسّ الحاجة إليها ، فتارة بعرض التكنولوجيا ، وأخرى بالتعاون في المجال الأمني ، وثالثة في مجال الزراعة ، وما إلى ذلك من أساليب الجذب والإغراء.
ولن تثار دهشتنا إذا ما علمنا أن دولة كنيجيريا ذات الغالبية المسلمة تستعين بمئات من الخبراء اليهود الذين يقومون بأعمال الاستشارة والتدريب (2).
وعلى الرغم من وجود هذا العدد الضخم من اليهود على أرضها فإن المراقبين الغربيين يرون أنه من غير المرجح أن تُقدم نيجيريا على تجديد العلاقات مع إسرائيل رسمياً ، وهي التي لم يمضِ على انضمامها إلى منظمة المؤتمر الإسلامي إلا فترة قصيرة ، وهكذا يتعامل النظام في نيجيريا مَثَلُه مثل كثير من الأنظمة التي ابتليت بها الشعوب الإسلامية دولياً بغير الوجه الذي يطل به على شعبه ، ألا ما أحوج المسلمين العاملين منهم على الساحة الإسلامية على وجه الخصوص اليوم أكثر من أي وقت مضى للانتباه إلى ما يحاك ضدهم في

الخفاء من أمور هي ألصق ما تكون بمستقبل كيانهم ، بل و بوجودهم ، ألا يُعد عمل كهذا حراسة في سبيل الله وحفاظاً على ممتلكات المسلمين من أن تؤول إلى أيادي المجرمين؟! بلى والله. إن على المسلمين أن يَرْقَوا بأفكارهم وبتقويمهم لمكر أعدائهم ، وأن يكونوا بمستوى الكمائن والمكائد المعدة لهم.

الهوامش:

1 -جريدة الأندبندنت 23 / 6 /1987م.

2- الأندبندنت 23 / 6 / 1987م.

بأقلام القراء

الأُخوَّة

عبد العزير الشرقي _ بريطانيا

إن الأخوة في الله منزلة عظيمة تصفي النفوس، وتجمع القلوب، وعلى علو مكانتها لم يزل الأدعياء يحكون المحبة في الله وإنما هي محبة في الشيطان، وإلا فـكـيـف تـكـون محبة في الله وليس فيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر؟!.

لقد خاب قوم وخسروا، ظنوا أن مجرد الميل القلبي لأحد من الناس علامة الأخوة في الله، وضـل آخـرون أرادوا بزعـمـهم أن يخرجوا المحبة من العبادات، ويـجـعـلـوها مـجــردة، يريدونها محبة قائمة بذاتها، لا ترتبط بروابط، ولا تحكمها قيود.

وغالب من ترى ممن يتحدث عن الحب ومعانيه ، إنما ينطلقون من هذا المنطلق ، ولما ضاق عليهم الأمر بعد أن كان رحباً ، قصروا الحب عـلـى العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، وضاق الحب بمعانيه السامية الشمولية والواسعة الـتـي تـمـلأ مـا بـيـن الـسـماء والأرض ، وأصبح لا يسع إلا أربعة أمتار مربعة تلك هي مساحة الفراش!.

وكان الإعلام الخبيث المُوجَّه لهدم دين هذه الأمة هو الذي تولى كبر هذه الخطيئة. وإذا أردت أن تعرف مبلغ الرزيّة فسل أحد الناشئة ممن رباهم الإعلام الخبيث ، سله ما هو الحب كما تتخيله؟ سوف تسمع كلاماً مخجلاً .

وهل على هذا الناشىء من تثريب ، وهو يشاهد في الرائي يومياً أن الحب علاقة بين الذكر والأنثى تؤدي مهما تعددت الطرق إلى الفراش؟ ، وتسمع بعد ذلك من يقول: إن الرائي يرشد الأمة إلى الفضيلة! نعم ، يعنون بالفضيلة: كل ما يأتي من الغرب الفاجر المتحلل ، ويعنون بالتخلف والرجعية :كل ما ورثوه من آبائهم وأسلافهم من دين وثقافة وتراث.

أبَعد ذلك نطمع أن نُنصر على عدونا؟ ، أو أن يكشف ما بنا إذا كان من عمّدوه على أدبنا يقول: لابد أن نتبع الغرب بخيره وشره ، بحلوه ومره ، فإن الخير كل الخير في الغرب ، والشر كل الشر في الشرق؟ ، فماذا نتوقع؟.

وهذه قِرَدَتُنَا! اتبعت الغرب في كل شيء إلا ما ينفع ، وتخلت عن موروثاتها إلا ما يضر. كلٌ يدعو للإصلاح ، وكلٌ يريد التغيير ، ولكن الخلاف. أي حال نريدها ونسعى إليها؟.
هل هي مزيدٌ من التحرر والانطلاق في ركب الحضارة الذي سبقنا بقرون ، أم العودة إلى ديننا والتمسك به؟ ، بمعنى آخر ؛ الذوبان أو التفرد ؟ ، التبعية أم القيادة؟.
أي حال نريد؟ وايم الحق لئن اتبعنا الغرب وأعرضنا عن ديننا إننا إذاً لخاسرون!.
ما قامت أمة إلا على عزة بنفسها ، أما نحن فتركنا سبب عزتنا وابتغينا العزة عند أعدائنا. نستقي من أعدائنا مناهج التربية والتعليم والإعلام.

الإسلام والجاهلية

عودة العصبيات من جديد

محمد الناصر

ج - عودة العصبيات من جديد:

تحدثنا فيما مضى عن أثر هذا الدين الحنيف في تذويب العصبيات ورواسبها ، وكيف أن أصحاب رسول - صلى الله عليه وسلم - سَمَوا بأنفسهم فوق تقاليد الآباء، وأعراف الأجداد.
إلا أننا نلاحظ عودة العصبية ، عندما كان وازع العقيدة ضعيفاً ..وبذور الإيمان لم تزدهر بعد..والتربية القرآنية لم تلامس بعض القلوب.. وذلك في مظاهر متعددة برزت في:

1- حروب الردة.
2- العصر الأموي.
3- أحقاد الشعوبية.
4- عصبية القومية والوطنية في العصر الحديث.

1- حروب الردة:

إن الحديث عن فتنة الردة ليس بالأمر السهل إذا اختلطت فيها المفاهيم ، فتلونت العصبية مع ضعف أثر الدين بميل نفوس الأعراب إلى حياة الفوضى والغزو ، و حنينهم إلى ماض قريب ألفوه قروناً متطاولة..
لقد كانت النزعات بين المرتدين ليست واحدة ، وكانت شعاراتهم متباينة ، يجمعها التفاف حول متنبئين كذابين ، هم يعلمون كذبهم ، إلا أنها عُبيَّةُ(1) الجاهلية ، وعصبية القبيلة لأحد أبنائها ونتن الوثنية الذي عاد من بعض الوجوه..
"لما توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عظم الخطب ، واشتد الحال ، ونجم النفاق في المدينة ، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة ، وامتنع آخرون عن أداء الزكاة إلى الصديق ، ولم يبق للجمعة مقام في بلد

سوى مكة والمدينة ، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في"صحيح البخاري" عن ابن عباس ، وكانت ثقيف بالطائف قد ثبتوا على الإسلام...".
"وقد روي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، ومن حديث القاسم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت:"لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق ، واللهِ لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- كأنهم معزى مطيرة في حُشٍ في ليلة مطيرة بأرض مسبعة..."(2).
"وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ، ماخلا أهل المسجدين مكة والمدينة ، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة الأسدي ، وارتدت كندة ومن يليها وعليهم الأشعث بن قيس الكندي.. وارتدت ربيعة.. وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة الكذاب... وارتدت سُليم مع الفجأة ، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة...(3).

اختلاف الشعارات والنزعات بين المرتدين:

"جعلت وفود العرب تقدم المدينة: يقرُّون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة ، ومنهم من امتنع عن دفعها للصديق ، ومنهم من احتج بقوله تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِم بِهَا وصَلِّ عَلَيْهِمْ إنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ)). قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكنٌ لنا(4).
لقد غاب عن بال هؤلاء :أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، وعندما عقد الصديق- رضي الله عنه-لواء الجيش لخالد بن الوليد ، أوصاه وبيّن له وضع القبائل ، إذ يقول له: "سر في أصحابك على تعبية جيدة ، فإذا لقيت أسداً وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك ، وبعضهم لا لك ولا عليك ، متربص دائرة السوء ، ينظر لمن تكون الدّبرة" (أى: النصرة والغلبة) فيميل مع من تكون له الغلبة ، ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة ، فاستعن بالله على قتالهم ، فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم(5).
وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم.. ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه..
وقد روى الجماعة سوى ابن ماجه عن أبي هريرة:" أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس ؟ وقد قال رســـول الله: أمـــــرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها" ؟ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً- وفي رواية: عــقـالاً- كانوا يؤدونه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حــق الـمـــال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق"(6).

وبعد عودة جيش أسامة بن زيد ، عقد أبو بكر الألوية ، فعقد أحد عشر لواءً.. عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة ، فإذا فرغ ساروا إلى مالك بن نويرة إنْ أقام له ، ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة... إلخ(7).

ولقد عرض الصديق على كبار الصحابة قيادة الجيش فأبوا عليه ذلك وكـانـــوا يطـمـحون للشهادة...

"دعا أبو بكر زيدَ بن الخطاب لذلك ، فقال: يا خليفة رسول الله قد كنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم أرزقها ، فأنا أرجو أن أرزقها في هــذا الوجه ، وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه ، فدعا أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، فقال مثل ما قال زيد ، فدعا سالماً مولى أبي حذيفة ليستعمله فأبى عليه ، فدعا أبو بكر خالدَ بن الوليد فأمّره على الناس "(8)... واستشهد هؤلاء الصحابة الذين اعتذروا عن القيادة -رحمهم الله جميعاً-.

بـعــد هذا العرض السريع لفتنة الردة وانتقاض القبائل على خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم.. مع اختلاف النزعات والشعارات ، نلاحظ أمرين واضحين ، هما:

1- قوة العصبية في نفوس الأعراب.

2- تعالي أصحاب الإيمان على هذه العصبية من الصحابة ، (وقسم من أهل القبائل) وقفوا لقومهم محاربين مقاتلين كما سنلاحظ ذلك..

العصبية راسخة الجذور في الجزيرة العربية:

والمـتـتبع لحروب الردة ، يجد أن سواد الأعراب لم يدخل الإيمان قلوبهم ، ولقد وصفهم القرآن بذلك: ((قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ولَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ولَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وإن تُطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً)) [الحجرات:4].

"هولاء الأعراب وقف معظمهم من الدين الإسلامي بالذهنية المغلقة المتعصبة التي لا تدرك معنى الدين؛((الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً ونِفَاقاً وأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ)) [التوبة:97].

"كـانــوا يـعــــدون الـرســول رجلاً أوتي السلطان على العرب؛ فيطيعونه على أنه رئيس مقتدر..." . "وكان الــعــرب الـمسلمون ينظرون إلى الأعراب المتبدين نظرة حذر وارتياب، وكـانــــــوا لا يرتضون لأعرابيٍّ تحضَّر أن يتبدى... وكان للقبيلة الواحدة حاضر وبادية، والتمازج حـاصــل بـيـن سـكـنة الحواضر وسكنة البوادي.. وكان الرسول الكريم يفرق بين الأعراب الموغلين في الصحراء ، والأعراب المقيمين في الضواحي والمستجيـبـيـن لـدعـــــوة الإسلام.."(9).

كان الأعراب بعيدين عن التربية المباشرة ، تربية العقيدة والإيمان ، كانت فترة الإعداد غير كافية لاقتلاع رواسب الجاهلية الموغلة في نفوسهم. إن

جذور العصبية عريقة ، والتعلق بعادات الغزو والنهب والفهم لحياة الفوضى ، وكرههم للطاعة وحياة الانضباط ، كل ذلك مع ضعف العقيدة سبَّب ردةً عنيفة في جزيرة العرب..

وسوف أستعرض بعض المواقف التي تجلّي لنا هذا الأمر :

عندما واجه خالد بن الوليد -رضي الله عنه -بجيوش المسلمين طليحة الأسدي أُسر حِبال بن أبى حبال ، ولما أراد المسلمون أن يبعثوا به إلى أبي بكر الصديق قال: "اضربوا عنقي ولا تُروني محمَّدِيكُم هذا"؛ فضربوا عنقه(10).

نزل عمرو بن العاص وهو عائد من عُمان على سيد بني عامر (قرة بن هبيرة القشيري) ، وذلك بعد وفاة رســول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال قرة لعمرو: "إن لك عندي نصيحة وأنا أحب أن تسمعها. إن صاحبك قد توفي. قال عمرو: أو صاحبنا هو؛ لا أمَّ لك- يعني: دونك؟ قال له قرة: وإنكم يا معشر قريش كنتم في حرمكم تأمنون فيه ويأمنكم الناس ثم خرج منكم رجل.. فلما بلغنا ذلك لم نكرهه، وقلنا: رجل من مضر يريد يسوق الناس، وقد توفي، والناس إليكم سراع، وإنهم غير معطيكم شيئاً؛ فالْحقوا بحرمكم تأمنون فيه(11).

وعندما اقترب عمرو من مشارف المدينة لقيه عيينة بن حصن خارجاً من المدينة ، فقال له: ما وراءك ياعيينة؟ قال له: يا عمرو استوينا نحن وأنتم ، فقال له عمرو: كذبت يا ابن الأخابث من مضر. ثم لحق عيينة بطليحة الأسدي(12).

هذا هو منطق الجاهلية ورجسها، وعقلية مشايخ القبائل، ولننظر في مواقف عجيبة صدرت عن أصحابها خلال حرب اليمامة.. مع مسيلمة الكذاب وقومه.

"كان (الرجال بن عُنْفوة) به من الـخـشـــوع ولزوم قراءة القرآن والخير شيء عجيب.. وفد على رسول الله مع قومه وكان من أكبر مــن أضل أهل اليمامة حتى اتبعوا مسيلمة ، وكان قد أرسله الصديق لأهل اليمامة يدعوهم إلــى الله ، فارتد مع مسيلمة ، وشهد له بالنبوة.. سُمع الرجال هذا وهو يقول: "كبشان انتطحا ، فأحبهما إلينا كبشنا"(13).

ضلال عجيب ، وعصبية قاتلة أوردته المهالك.

و ها هو مسيلمة يقف مخذولاً أمام كتائب الإيمان ليقول لقومه في حديقة الموت: "اليوم يوم الغيرة.. إن هزمتم تستنكح النساء سبيات.. فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم"(14).

وبقوة الحسب ومجد العشيرة يستثيرهم محكم بن طفيل أكبر مؤيدي مسيلمة -خذله الله- إذ يقول: "ما كان عندكم من حسب فأخرجوه"(15).

"قال قائل لمسيلمة: يا أبا ثمامة أين ماكنت وعدتنا؟ (وذلك بعد أن قتل محكم بن طفيل) قال الكذاب: أما الدِّين: فلا دين ، ولكن قاتلوا عن أحسابكم ، فاستيقن القوم أنهم على غير شيء"(16).

وأخيراً: أسوق الخبر التالي ، وهو يدل على عصبية عجيبة لا تدانيها إلا عصبية ما قبل الإسلام:
"جاء رجل إلى اليمامة وقال: أين مسيلمة؟ ؛دلُّوه عليه ، فقال له: من يأتيك؟ قال:رجس. قال: أفي نور أم في ظلمة؟ فقال: في ظلمة ، فقال: أشهد أنك كذاب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر ، واتبعه هذا الأعرابي الجلف- لعنه الله -حتى قتل معه يوم عقربا ، لا رحمه الله"(17).
هــكــذا نــلاحــظ أن العصبية الجاهلية برزت قوية جائرة، سببت فتنة أريقت لها دماء، وأزهقت فيها أرواح... والإسلام ينادي:"دعوها؛ فإنها منتنة" على لسان رسوله -عليه أفضل الصلاة والسلام-.
ومن مستلزمات الجاهلية ، والحياة القبلية كما مر معنا في الشعر الجاهلي : حياة الغزو ، وأحياناً على بكر أخينا ، وهذه النفسية ظهرت خلال فتنة الردة واضحة.
قدم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس على الصديق يطلبان جعلاً ليخذلان من وراءهما من القبائل ، فرفض الصديق ذلك ، وبعد عودتهما شن خارجة بن حصن (أخو عيينة) غارة على المدينة المنورة ، فخرج إليهم الصديق بمن معه من المسلمين وهزمهم في ذي القصة(18).
وهذا الفجاءة من بني سليم كان قدم على الصديق وزعم أنه أسلم ، وسأله أن يجهز معه جيشاً يقاتل به أهل الردة فجهز معه جيشاً ، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله.. فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشاً فرده وقد جمعت يداه إلى قفاه وقُتل.

من شحّت نفوسهم بدفع الزكاة:

وهنالك بعض المرتدين امتنعوا عن دفع المال وتأدية الزكاة لخليفة رسول الله..
قال الأشعث بن قيس لأبي بكر الصديق:
"والله ما كفرت بعد إسلامي ، ولكني شححت على مالي" ، وذلك عندما جئ به وبقومه من أسرى كندة بعد هزيمتهم.. وقال وفد كندة أيضاً نفس القول: "والله ما رجعنا عن الإسلام ، ولكنا شححنا على أموالنا"(19).
"وكان الذين حبسوا صدقات قومهم وفرقوها بينهم مالك بن نويرة ، وتيس بن عاصم ، والأقرع بن حابس التميمي ، وكذلك فعل حذيفة بن بدر الفزاري ، ومثله بنو سليم ، وحاولت طيء أن تقلد جيرانهم بني أسد إلا أن عدي بن حاتم رفض ذلك وأقنع قومه ، وقدم بالصدقات على أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-"(20).

الغزو وحياة الفوضى:

وهكذا نلاحظ أن العرب الذين كانوا يأنفون من الانصياع إلى سلطة واحدة ، صعُب عليهم أن يخضعوا لرجل من قريش يؤدون إليه أموالهم. وهذا شاعر كندة حارثة بن سُراقة يقول:

أطعنا رسول الله ما كان وسطنا فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر؟
أيورثنا بكراً إذا مات بعده فتلك إذن والله قاصمة الظهر(21)

جاءت سجاح بمن معها من قبيلتها "تغلب" من الجزيرة وقد ادعت النبوة ، وهي من نصارى العرب ، ولما مرت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها ، فاستجاب لها عامتهم ، وكان ممن استجاب لها مالك بن نويرة التميمي ، وعطارد بن حاجب.. ثم اتفق أتباعها على قتال الناس فقالت لهم فيما تسجعه: "أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب". ثم قصدت اليمامة لتأخذها من مسيلمة.

واتفق الكذّابان ؛"وتزوجها مسيلمة وأقامت عنده ثلاثة أيام ، ثم رجعت إلى قومها... وقد نادى مؤذّنها: إن مسيلمة قد وضع عنكم صلاتين مما آتاكم به محمد- يعني :صلاة الفجر وصلاة العشاء... ثم انثنت راجعة إلى بلادها الجزيرة وأقامت في قومها بني تغلب.."(22).

إغارة ونهب وفوضى...وحنين إلى مظاهر الجاهلية تلك. ولقد قال أحد أتباعها (عطاء بن حاجب) بعد أن رجع إلى الإسلام في سجاح (23):

أضحتْ نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذُكراناً
فلعنة الله رب الناس كلهمعلى سجاح ومن بالكفر أغْوانا

دعاة كذبة ، ما كان يمكن أن يصدقوا لو كانت روابط الإيمان قوية ، وجذور الدين راسخة.

حفظة القرآن ، وأصحاب الإيمان:

هؤلاء الأتقياء الأبرار ، هم الذين حسموا الموقف في هذه الفتنة ، وارتفعوا فوق التقاليد والأهواء ، فقد حاربوا قومهم وقبائلهم مع كتائب الإيمان..

ولقد استمر القتل في الصفوف من حفظة القرآن في اليمامة ، "وجعل منادي المسلمين ، ينادي: يا أهل القرآن فيجيبون المنادي فرادى ومثنى ، فاستمر بهم القتل ؛فرحم الله تلك الوجوه"(24)- كما روي عن عمر- رضي الله عنه- و هو يذكر تلك الأيام.

"وصبر الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله ، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم.. وكان جملة من قتلوا في حديقة الموت وفى المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وقيل: أحد وعشرون ألفاً (من المرتدين) ، ومن المسلمين: استشهد ستمائة ، وقيل :خمسمائة؛ فالله أعلم ، وفيهم من سادات الصحابة أمثال: ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي ، ومنهم: زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب لأبيه ، ومنهم: أبو

دجانة ، ومنهم: عباد بن بشر الأنصاري ، وأبو حذيفة بن عتبة ومولاه سالم..."(25)-رحمهم الله أجمعين-.
كانت المعارك ضارية ، حتى أن المسلمين تراجعوا عدة مرات أمام بني حنيفة ، إذ جاء الخلل إلى الصفوف من الأعراب ، وعندها صاح أحد أصحاب رسول الله (ثابت بن قيس) -رضي الله عنه-: أخلفنا يا خالد.. فقال: ذلك إليك ، فنادِ في أصحابك ، فأخذ الراية ونادى: ياللأنصار.. فتسللت إليه رجلاً رجلاً ..
أربعمائة رجل لا يخالطهم أحد.. ونادى خالد: ياللمهاجرين.. فأحدقوا به ، ونادى عدي ومكنف بن زيد الخيل الطائي لطيءٍ؛ فثابت إليهما طيءٌ وكانوا أهل بلاء حسن ، وعزلت الأعراب ناحية...
ويكمل الرواية رافع بن خديج فيقول: "وإنما كنا نؤتى من قبل الأعراب.. وأجهضهم أهل السوابق والبصائر ، فهُم في نحورهم.."(26). إن العقائد تقاس بالابتلاء والشدائد ، وعامة الناس لا يجدون نفعاً في هذه المواطن ، وما أجدر الدعاة أن يستفيدوا من مثل هذه الدروس.. أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأهل السوابق على قلة عددهم هم الذين قلبوا ميزان المعركة.. وكثرة الأعراب من المسلمين سرعان ما كانوا يتراجعون عندما تعضهم السيوف.
لقد وقف عدي من قومه موقفاً صلباً مؤمناً ، وحارب إلى جانب خالد بن الوليد ، ولقد قاتل المسلمون من بني سليم المشركين من قومهم ، فانهزم الأعراب من المرتدين (من بنى عبس وذبيان ومَنْ معهم من مدد طليحة لهم بابنه حِبال) الذين أغاروا على المدينة ، وقتل حبال ، وكان أول الفتح ، وذل بهذه الموقعة المشركون ، وعز المسلمون ، عندها وثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل من وراءهم كفعلهم ، فحلف أبو بكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة.. وجعل خالد -رضي الله عنه -بعد أن هزم طليحة وأسداً يتردد شهراً يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهُرهم حين ارتدوا.."(27).
وكان ابن عمرو اليشكري من أشراف اليمامة ، وكان مسلماً يكتم إسلامه ، وكان صديقاً للرّجال ، فقال شعراً ، فشا في اليمامة منه هذه الأبيات(28):

يا سـعـاد الفـؤاد بـنـت أثـال   طــال لــيــل بفـتـنة الرّجَال
فتن القوم بالشهادة (29) والله عـزيــز ذو قــــوة ومـــحـــال
إن ديني دين النبي و في القوم رجال على الهدى أمثالي(30)
أهـلـك القـوم محـكم بن طـفـيل   ورجال ليسوا لنا برجال(31)
قـلـت للنفس إذ تعاظمها الصبرُ وســاءت مـقــالــةُ الأقـــوال
إن تـكـن ميتـتي على فطرة الله   حـنـيـفــاُ فـإنــني لا أبــالـي

فبلغ ذلك مسيلمة ومحكماً وأشراف أهل اليمامة ، فطلبوه ، فـفاتهم ولحق بخالد بن الوليد ، فأخبره بحال أهل اليمامة ودلّه على عوراتهم.

إنه الإيمان يستعلي في نفس ابن عمرو اليشكري ، جعله يضحِّي بقومه في سبيل دينه.

دروس وعبر:

هذه هي حروب الردة ، فتنة عمياء ، وعصبية هوجاء ، إلا أنها لا تخلو من عبر وعظات..
1 -العصبية خطيرة خبيثة من فتن الجاهلية ، تتلون وتخدع أصحابها ، فلا يرون الحق ، ويدافعون عن الباطل ، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً.
2 -التعلق بالمال والمتاع الزائل ، مع ضعف الإيمان وغبش التصور أودى ببعض المرتدين المهالك ، فشحت نفوسهم عن دفع الزكاة.
3 -إن قوة الإيمان ، وفهم العقيدة ، من هدي الإسلام.. الذي يصنع العجائب... وهذا ما ظهر في موقف الصدِّيق وصموده ، وعدم تهاونه في أداء الزكاة ، ولقد قرر بحزم أن يحارب المرتدين ، وأن يرسل جيش أسامة ابن زيد إلى تُخُوم البلقاء والشام ، "واللهِ لا أحل عقدةً عقدها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين؛ لأجهزنَّ جيش أسامة..."
وظهرت مواقف حفظة القرآن وأصحاب الإيمان عظيمة غيَّرت مجرى التاريخ..
4 -إن مهادنة المشركين باسم المصلحة وضعف الإمكانيات ليس له ما يبرره ، وواقع الصديق وما كان فيه هو وأصحابه- رضي الله عنهم أجمعين- من ضيق وشدة ، وانتقاض العرب ، ما جعله يتنازل عن حق من حقوق الله ، ولا أن يسالم أو يساوم في دين الله.
إن مواقف الصحابة تنفي علينا في هذا الزمن كل التواءٍ وخداعٍ ، وجرأةٍ على الفتوى باسم الدين.
5 -إن العودة إلى التربية الصافية ، إيمانية خالصة ضرورة ملحة ، وفرض محتم ، ينقذ المسلمين مما هم فيه من تسيب وضياع وانهزام.
6 -إن القلة المؤمنة هي رصيد الشدائد ، وعماد كل نهضة جادة وصحوة يقظة ، مادامت (هذه النخبة) متمسكة بكتاب الله وسنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم - كما فهمها سلف هذه الأمة.
7 -وصورة الردة تتمثل بإيجاز في:
"أن العرب افترقت في ردتها ؛ - فطائفة رجعت إلى عبادة الأصنام وقالوا: لو كان نبياً لما مات.
- وفرقة قالت: نؤمن بالله ولا نصلي.
-وطائفة أقروا بالإسلام وصلُّوا ، ولكن منعوا الزكاة.
-وطائفة شهدوا: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكن صدَّقوا مسيلمة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أشركه معه في النبوة..

ولم يشكّ أحدٌ من الصحابة في كفر من ذكرنا ووجوب قتالهم إلا مانع الزكاة.. ثم زالت الشبهة عن الصحابة- رضي الله عنهم- وعرفوا وجوب قتالهم؛ فقاتلوهم"(32).

و ها نحن في هذا العصر نرى مَنْ ينكر الزكاة ، ويجحد أركان الإسلام ، ويتفلت من تحكيم شرع الله ، ثم يزعم أنه مسلم ، ويجد من يفتي له بإسلامه ، مادام يتلفظ بالشهادتين ، ولو لم يأت بأي عمل من أعمال الإسلام ، فأي عجب أكثر من هذا؟!.

الهوامش:

1 - عبية الجاهلية: كْبرها ونخوتها.
2 - البداية والنهاية لابن كثير: 6 / 304.
3 - المرجع السابق: 6 / 312.
4 - المرجع السابق: 6 / 311.
5 - الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة ، للشهيد المحدث المؤرخ أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الاندلسي (565 634 هـ) تحقيق ونشر د. أحمد غنيم (ص 67).
6-و7- البداية والنهاية: 6 /311 ، 315.
8 - حروب الردة: الكلاعى (ص 56 57).
9 - الشعر الجاهلي ، د. يحيى الجبوري ، ?3236.
10 - حروب الردة: الكلاعي ، ص 74.
11 و12 - حروب الردة. الكلاعي ، ص 85 86.
13 - انظر البداية والنهاية ، 6 /323 ، وحروب الردة ، ص 104.
14 - البداية والنهاية ، 6 /324.
15و16 - حروب الردة. الكلاعي ، ص 143و145.
17 و18 - البداية والنهاية 6 / 327 ، 313 ، 319. وحروب الردة: ص 53 ، 4 5 و39.و40
19 - انظر حروب الردة: الكلاعي ، ص 328 ، 44?50?226
20و21 - انظر حروب الردة. الكلاعي ، ص 238 ، 44?50?226. وانظر رواية ابن كثير للأبيات 6/313 ففيها بعض الاختلاف.
22 - البداية والنهاية 60/320321.
23 - الإصابة لابن حجر: 2 /477.
24 - انظر حروب الردة للكلاعي ، ص 177.
25 - انظر البداية والنهاية ، 6 / 325 وما بعدها.
26 - انظر حروب الردة 133138 ، والبداية والنهاية: 6 /324.
27 - البداية والنهاية 6 /313 ، 319.
28 - حروب الردة: الكلاعي ، ص 105 106.

29 - كان قد شهد (الرجال) لمسيلمة بالنبوة.. ففتن الناس.
30 - لم يصرح باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما يعرض بأن لا نبي سواه وأن مسيلمة مفتر على الله.
31 - محكم بن طفيل من أكبر أعوان مسيلمة.
32 - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص 29،30.

التجديد في الإسلام

(8)

الحركة التجديدية الحديثة
دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

إذا كنا عـرضـنـا لـحـال المـجـتمع المسلم منذ عهد عمر بن عبد العزيز ، وحتى عهد شيخ الإسلام ابن تيمية.. فيا ترى ماذا سنقول عن الحياة الإسلامية قبيل حركة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ؟.

وإذا كان العالم الإسلامي منذ القرن الـتـاسـع قد تردى أكثر من أي وقت مضى في الضعف والجهل والتقليد والتمزق فماذا عسى يكون حاله في القرن الثاني عشر ؟.

لقد وصل إلى وضع أدق ما يوصف به أنـــه ردةٌ إلى الجاهلية الأولى في معظم نواحي الحياة وتقديس للأضرحة والشيوخ والأولياء والأشجار ، وصرف للعبادة لغير الله.

ولعل من أبلغ ما وصف به حال العالم الإسلامي ما خطته براعة المؤرخ الأمريكي (لوثروب ستودارد) في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) حيث يقول: "في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة، فاربدّ جوُّه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب... واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات ، ومـاتـت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين.. يحكمون حكماً واهناً فاشي القوة متلاشي الصبغة، وقـــام كـثـيـر من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة في حكمها وينشئون حكومات مستقلة ؛ ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها ، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك ، فكثر السلب والنهب ، وفقد الأمن..

وجاء فوق جميع ذلك ، (رجال الدين) المستبدون يزيدون الرعايا إرهاقاً فوق إرهاق ، فغلت الأيدي ، وقعد عن طلب الرزق ، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بواراً شديداً ، وأهملت الزراعة أيّما إهمال.
وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحــدانــيـة التي علمها صاحب الرسالة الناس سجناً من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أربـاب الصلوات ، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون مــن مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور.
وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يُشرب الخمر والأفيون في كل مــكـان ، وانتشرت الرذائل وهتكت سائر الحرمات على غير خشية ولا استحياء! ونال مكة المـكـرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام ، فصار الحج المقدس.. ضرباً من المستهزآت.
وعلى الجملة فقد بُدِّلَ المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فـلـو عـــــاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان" (1).

تجديد مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

في وسط هذا الجو المكفهر شاء الله أن تنطلق دعوة التوحيد من أرض الجزيرة العربية كما انطلقت شرارتها الأولى منها ، وكانت أرض الجزيرة - وبلاد نجدٍ خاصة - أنسب البقاع لظهور الحركة التجديدية حيث بقيت هذه البقعة بعيدة عن سيطرة الدول الكبرى آنذاك فلم يكن أحد يطمع فيها أو يلتفت إليها ، وكان أهلها من صفاء البادية وقوتها وحيويتها ما يحقق البقاء و النماء لهذه الدعوة المرتقبة.
فانطلق صوت الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي - المولود سنة 1115 هـ - منادياً بضرورة نبذ الشرك والعودة إلى نقاء التوحيد وصفائه والذي كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها.
وكان الشيخ قد حصل على ثروة من العلم عظيمة وتميز بفهم ثاقب وغيرةٍ متوقدةٍ جياشة، وقد فرغ لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الشيخ الإمام ابن القيم رحمهما الله حــتـى استوعبهما وأتقنهما ووجد فيهما الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة.
ومن ثم بدأ دعوته في حريملاء ثم في العيينة ثم في الدرعية مخاطباً فيها جمهور الناس كما يخاطب رؤوسهم داعياً إلى نبذ البدع ، وتحكيم الشرع، وإقامة الكتاب والسنة، حتى حقق الله له ما أراد ، وأقام كياناً سياسياً على أساس من تعاليم الإسلام ، بدأ في التوسع شيئاً فشيئاً ، حتى استتم بلاد نجد

كلها، ثم الحجاز، إلى أن اصطدمت جيوش الدعوة الغضة بقوات محمد علي المجهزة بأحدث الـوسـائـل العصرية ، فاخرت سير الدعوة ولكنها لم تستطع أن تحول بين أنوارها وبين المسلمين.

ولقد كان لجهود الشيخ الشخصية ولمدرسته التـي ربّـاهــا على يديه أعظم الآثار في الأمم الإسلامية منذ ذلك الوقت وإلى اليوم ، ويعزو كثير من المؤرخين معظم الحركات الإسلامية النقية في أفريقية والهند وغيرها إلى آثار تلك الدعوة المباركة.

ولقد استطاعت هذه الدعوة أن تحرر الأراضي التي وصلت إليها من ألوان الشرك والخرافة وأن تعيد تعبيد الناس لربهم الحق ، وتربيتهم على اتـبـاع السنة الغراء حتى نشأت من أولئك البدو الجهلاء الجفاة الذين عرفوا بالسلب والنهب وقطع الطريق... جماعة مستقيمة على شرع الله، تغضب لله وتغار على حرماته، وتتورع عن كل ما فيه أدنى شبهة، وتبذل النفس والنفيس في سبيل إعزاز هذا الدين ونصرة دعاته.

وكان هؤلاء هم قوام الجيش الذي فتح بلاد نجد والحجاز وأغار على بعض مناطق الخليج والعراق وفي عزمه أن يخضع العالم الإسلامي ، لهذه الدعوة الربانية.

لــقــد اسـتـطـاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن ينشئ دولة تحمي دعوته بالقوة ، وكان واضحاً أنه قد خطط لذلك وعرض على عددٍ من الأمراء حتى قبل الإمام محمد ابن سعود رحمه الله ، وناصر الدعوة الجديدة.

وبذلك ضمن الشيخ استمرار دعوته وقوتها وبقاءها، وأفاد من الأمن الذي استتب، والوحدة التي قامت في نشر تعليمات الإسلام ، وتربية الناس على المعتقد الصحيح ، وتحريرهم من لوثات الشرك والوثنية ، وهدايتهم إلى خلق الإسلام الصحيح في البر والتعاون والإحسان وكف الأذى وإكرام الضيف والعزوف عن الدنيا وملذاتها ، والحذر من المحرمات في الأموال والمآكل والمشارب حتى أصبح رجالات الدعوة صوراً حية للإسلام يذكرون برجال خير القرون الأولى.

وانتشر العلم وكثر طلابه وأصبحت البلاد مثابة العلم والعلماء ، واشتغل أئمة الدعوة بشرح تـعـالـيـمـهـا وأسسها ومبادئها والرد على مخالفيها وتفنيد شبهاتهم، حتى نشأ عن ذلك حركة علمية إسلامية صافية.

ولقد كان من الآثار المباركة لهذه الدعوة أن فضحت البدع والخرافات والمذاهب الضالة وحذرت المسلمين من الاغترار بها فهاجمت الرافضة والمتصوفة والقبوريين وغيرهم من أهل التأويل والتعطيل.

وعموماً فقد جددت دعوة الشيخ ومدرسته دين الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسـلـم والــذي جدده العاملون المخلصون عبر التاريخ ، فكان لها من تجديد عمر بن عبد العزيز القوة الـنـاتـجـة عن اعتماد الدولة للمنهج التجديدي ، وكان لها من تجديد الإمام أحمد بن حنبل ثم الإمام ابن تيمية

محاربة ما شاع في العصر من العقائد والبدع المخالفة ، ونشر التوحيد الخالص ، وتربية الناس على أخلاق الإيمان.

ولم يكن تأثير الشيخ محصوراً في الزمان ولا في المكان ، أما في المكان فإن من المقطوع به أن ثمة خيوط واصلة بين دعوته وبين بعض المصلحين المجددين خاصة في الهند وحسبك ما قام به الإمام الشيخ المجدد (نذير حسين الدهلوي) ، ثم الشيخ (محمد بشير السهسواني) صاحب كتاب (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) والذي ألفه للرد على (زيني دحلان) أحد علماء مكة في هجومه على الدعوة الوهابية وإلصاق التهم بها(2).

كما كان لها تأثير في غرب أفريقية وفي سومطرة وفي بلاد المغرب العربي ، ولتعرف طرفاً من ذلك انظر المراجع المحال إليها في الهامش (3).

أما في الزمان فإن الدعوة لم تكن طمعاً شخصياً ينتهي بنهاية حياة حامله، بل كانت دعوة ربانية متجردة، ولذلك لم تحطمها الضربات الشرسة التي وجهت إليها ، ولا زالت تؤثر في وجــدان الجـمـاهــير الإســلامية على الرغم من عداء كثير ممن يجهلونها أو يتجاهلون حقيقتها.

ولازال المسلمون الواعون في الأرض كلّها يُعنون بدراسة آثار الشيخ ومؤلفاته ، وآثار أولاده وأحفاده وأتباعه ، فيجدون فيها من تجريد التوحيد وحماية حماه من الطرق والذرائع الموصلة إلى الشرك ، وتوضيح شرك الأفعال وشرك الألفاظ ، وشرك الإرادة ، وشرك العبادة مالا يجدون في غيرها.

ليس لأن الشيخ جاء بجديدٍ من عنده، ولكن لأن الدعوة التجديدية تعني بكشف الجوانب التي تتسع فيها شقة الانحراف وتأكيدها تفاعلاً مع طبيعة الوضع الذي تعايشه وتعالجه.

أما في بلاد نجد فلا يزال كثيرون - حتى من عامة الناس - يمتازون باليقظة والحساسية في الألفاظ والعبارات، فلا يقولون شيئاً من الاستعمالات التي ورد النهي عنها والتي أبرزها الشيخ في كتاب "التوحيد" ولا يرضون أن يسمعوها من أحد.

ولازال فيهم بقية من سلوك حسن أخذ مأخذ العادات المألوفة المتواضع عليها ، فهو يقاوم تيارات الانحلال التي تعصف عليهم من كل مكان بعض المقاومة.

الهوامش:

1- حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة:منيرا البعلبكي ، تعليق: شكيب أرسلان ، دار الفكر ج 1 ص259. ويلحظ في تعبيراته استعمال بعض الألفاظ التي لا نوافقه عليها.

2- انظر. عون المعبود ، الموضع المشار إليه في أول البحث ، وانظر كتاب: المصلح المظلوم والمفترى عليه لمسعود الندوي ، ص 56 - 86 ، ط ا سنة 1397.

3- كتب كثيرون عن أصداء دعوة الشيخ ، وبالغ بعضهم واعتدل آخرون ، وأهم المراجع هي:
* - حاضر العالم الإسلامي ، ج1 ، ص2.
* - بحوث مؤتمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ج2.
* - مجلة (الفيصل) عدد15.
* - تراجم الشيخ عامةً ومنها كتاب مسعود الندوي المشار إليه.

خواطر في الدعوة

التخصص.. أو التشتت

محمد العبدة

بـالـغ الـغـربـيـون في الـتخـصـص، وأعجبهم ذلك لما لمسوه من الفوائد في أول الأمر، فتجد الـعـامل أو الموظف أو المدرس لا يعلم إلا في حيز ما أسند إليه ، فإذا خرج عن هذه الدائرة فهو لا يـفـقه شيئاً ، وهذه ناحية إيجابية في الأصل ، لأنها تنتج المهارة ، وتعطي النتائج السريعة.

ولكن شدة التخصص أدت في النهاية إلى ضيق الأفق وضعف المدارك في بقية شؤون الحياة. والمبالغة تـؤدي إلى نقيضها أحياناً ، فشدة البياض تصبح مهاقاً ويقابل هذا التخصص عند الغربيين مـــا عند المسلمين من ميل نحو الموسوعية الفضفاضة في العلم ، وحشر أنفسهم في شتى المجالات في العمل ، فالفرد هنا مطالب بأن يعلم كل شيء ، أو له خبرة في كل شيء أو هكذا يدعي ولا يزال يعجبهم القول القديم: فلان (بحر علم)أو (دائرة معارف)ونسوا أو لم ينتبهوا إلى أن هذا العصر لا يحتمل مثل هذا ، وإذا كان في العصور السابقة من هو فعلاً (بحر علم) فإن هــذا لا يصح اليوم ، بل لن يتهيأ له وإن أراده ، لتشعب الأمور وتعقدها، مما لا يتيح صفاء للذهن وراحة للجسم.

وإذا كان هذا في العلم ، فكذلك في الدعوة ومن يتصدى لها ، فلن يتهيأ له أن يتقن كل شي. وإذا حاول فإنما يأتي به على وهن وضعف ، أو يأتي به فجاً لم ينضج بعد.

فإذا كان الداعية المسلم هو المواطن أو التاجر ، وهو الكاتب والخطيب والمتحدث ، وهو الذي عليه أن يحل مشاكل الناس... فهل يستطيع الإحاطة بكل هذا ، وهل ينتج في دعوته، وإذا كان بعض الرجال يتحملون هذا كله، ويقومون به، فإن غيرهم لا يستطـيـع، وإذا كان البعض قد أوتي قدرة وتحملاً وصبراً، فأين تـدريــب من هــو دونــه على تحمل المسؤولية وتنمية مواهبه في فن من فنون العمل ؟.

وقد رأينا من أساتذتنا من يقوم بهذا ، ولكن كثرة الأعمال تثقل عليه في النهاية ، وتجعله لا يـسـتـطـيـع أن يـقــوم بـجــزء منها، ونكون قد خسرناه مرتين. مرة:لأننا لم نستفد من اختصاصه.

والثانية: أننا لم نستفد من فترة اكتمال تجربته ونضوج عقله.
ونحن هنا لا نريد أن نقلل من أهمية المعلومات العامة ، وتوسيع المدارك ، ولا من قدرات بــعــض الــنــاس، وإنما نريد أن نكون واقعيين نعرف روح العصر وما يتطلبه، ونعلم كيف تتطور الأحداث، وكيف نستفيد من التيسيرات المادية الحديثة التي توفر الجهد، وتساعد على التغلب على مــا فــقــد من صــفــاء الــذهـن، كما نريد أن يتعمق أهل الاختصاص في اختصاصهم دون أن يفقدوا ميزة سعة الأفق، كي نستثمر جهودهم ولا نشغلهم بأمور شتى، فتضيع الجهود أو لا ينتجون إلا قليلاً.

الحضارة المعاصرة... الوجه الآخر

الانتحار

إعداد:ضيف الله الضعيان

قد يعجب القارئ من طــرقـنا لمثل هذه الموضوعات ، وقد يظن ظانٌ أو يتوهم متوهمٌ أن هذا ضربٌ من التكلف في نقد الحــضــارة الغربية وشيء من المبالغة في إبراز الوجه الآخر لهذه الحضارة... خصوصاً وأن كثيراً من بـــلــــدان المسلمين لا تخلو من كثير من هذه الظواهر أو المظاهر...

ونقول للأخ القارئ: إن الأمر ليس كذلك لسببين:

الأول: إنه وإن وجدت مــثــل هـــذه الآفـــات والأمراض الاجتماعية في بعض مجتمعاتنا الإسلامية ، إلا أنها لاتصل إلى حد الظاهرة العامة كما هي الحال في مجتـمـعـات الحضارة المعاصرة... وعلى الأخ القارئ أن يــقــارن كــل مــا ســبق مـناقـشـتـــه من تلك الظواهر في المجتمعات الغربية بمثيلاتها في مجتمعات المسلمين كي يرى الفارق في ذلك.

الثاني: إنه رغم ما بيَّناه في الفقرة السابقة من تباين حجم المشكلة ، إلا أن وجود هذه الأمراض الاجتماعية وغير الاجتماعية في بلادنا ومجتمعاتنا إنما هو في الأصل نتاج وإفراز من إفرازات هذه الحضارة ، انعكس على مجتمعاتنا الإسلامية نتيجة الهجمة الاستعمارية الشرسة التي مارسها ويمارسها الغرب بجميع أشكالها وفنونها.

فالهدف إذن: بيان الوجه الخفي من هذه الحضارة لمجتمعاتنا ، والذي نراه ويراه العقلاء من أبنائها سبباً رئيساً في إفلاسها ومؤشراً واضحاً على بداية نهايتها وانهيارها.

وهــي أيـضـاً إشارات تحذيرية نضعها على طريق شعوبنا اللاهثة خلف كل ما هو غربي، علّها تقف عندها متأملةً.. لتعي وتدرك ما تأخذ وما تدع من هذه الحضارة...

ذكرنا في حلقات سابقة من هذه الزاوية أمثلة حية مما تعانيه المجتمعات الغربية المعاصرة من أمراض اجتماعية وصحية واقتصادية ؛وغيرها كنتاج

سلبي لمعطيات الحضارة المادية التي تعيشها تلك المجتمعات ، فتناول الخمور والمخدرات وما ينبني عليه من آثار ، جاء نتيجة محاولة ردِّ الاعتبار والبحث عن السعادة بالهرب من الواقع المرّ..
ومرض نقص المناعة المكتسبة "الإيدز" وغيره من الأمراض الفتاكة هو النتاج الطبيعي للفوضى الجنسية والأخلاقية.. والاعتداءات الجسمية والجنسية على الأطفال أثر من آثار التحلل الاجتماعي والتفكك الأسري..
وحديثنا في هذه الحلقة عن: ظاهرة "الانتحار" في المجتمعات المتحضرة والتي هي الغاية في الهرب من جحيم تلك الحضارة وويلاتها... حيث بلغت حداً من الانتشار ، حتى أصبحت في رأي علماء النفس والاجتماع صرعة غريبة..
فــالــواقــع السريع للتطور التكنولوجي المتلاحق ، والاتجاه الشرس نحو المادية المفرطــة، وتفكك الروابط والعلاقات الاجتماعية والأسرية أوجد إحساساً بالضياع، وأوجد أزمة هوية لدى الشباب والمراهقين في بلاد الغرب التي أصبحت مهددة بانهيار نفسي وجماهيري...
هذا الإحساس بالضياع الذي يعيشه مراهقو الغرب أوجد نزعة نحو التخلص من مشاكل الحياة المادية باللجوء إلى الانتحار... فقد أجرت "مجلة المراهق" الأمريكية مسحاً بين عينة من الصبية والفتيات في فئة السن بين 15 و 19 عاماً لاستطلاع مشاعرهم تجاه ظاهرة الانتحار المتزايد في المجتمع الأمريكي.. المسح الذي شارك فيه أكثر من (500) صبي وفتاة جاء بنتائج مفزعة تقول:
إن الـثـلــث ممن وجِّهت إليهم الأسئلة حاولوا فعلاً التخلص من حياتهم بعد أن استسلموا لليأس والـقـنوط ، ولقد رُوعي في تكوين واختيار تلك العينة أن تكون ممثلةً لواقع المجتمع الأمريكي بجميع طبقاته.. وينتهي المسح أيضاً إلى أن 73% من الشباب والمراهقين فكَّروا في الإقدام على الانتحار مرة أو أكثر خلال حياتهم..
ويشير الاستطلاع إلى ظاهرة خطيرة أخرى... وهي: أن غالبية من حاولوا الانتحار هم من الفتيات في أخطر مراحل العمر وأحوجها إلى الجو النفسي الأسري عند رفضها أو عجزها عن دفع تكاليف سكنها ومعيشتها!!.
يُنْشَرُ هذا الاستطلاع في وقت ينعق فيه أدعياء تحرير المرأة المسلمة!! ليخرجوها من عش وجو الأسرة الآمن إلى حيثُ القلق والاضطراب النفسي والأخلاقي..
أمـا عن أســبــاب الانتحار: فهي عديدة ومتنوعة ، وأكثرها شيوعاً حسب ما كشفت عنه الإجــابـات هو: صراع الجيلين ، أي: الخلاف بين المراهق ووالديه ، ولاسيما وأن الأب ينتمي إلى عهد كان أقلَّ شراسة في ماديته.. وثمة دوافع أخرى في رأي المراهقين ، إذ يقول من أُجــري عـلـيـهـم المسح: أن الإحساس بالوحدة يدفع إلى التفكير في الانتحار ، وكذلك الانزعاج والاســتـيـاء من المظهر الشخصي للمرء يُزَهِّده في حياته ، وخلافه مع

صديقه أو صديقته يجعله يــريـــد أن يبرح الدنيا.. ومما يزيد الطين بِلَّةً أن الشخصية الانتحارية لا تجد من تفض إليه بمكـنـوناتها لحين تزول الغُمة وتنفرج الأسارير... وفي ذلك تقول نتائج المسح :أن ربع من فكروا أو أقـدموا على الانتحار فعلوا ذلك بعد أن خاب أملهم في وجود من يُسرون إليه بمعاناتهم (1).

وفي اليابان حيث التقدم الصناعي والقفزات المادية السريعة :أفاد تقرير رسمي نشر بتاريخ 12/2/1987م أن 802 من الشباب الياباني المراهق قد انتحروا في العام الماضي، مما يشكل زيادةً بواقع 44% عن العام الذي سبقه ، وقال تقرير وكالة الشرطة القومية :أن 299 فتاة قد انتحرت خلال عام 1986م، وذلك بزيادة 9.6% سجلت أعلى رقم قياسي.

وذكر التقرير: أن مشاكل المدارس كانت حافزاً لانتحار 207 شاب، تليها المشاكل العائلية التي أودت بحياة 107 أشخاص ، والمشاكل الغرامية التي ذهب ضحـيـتـهـا أكثر من 90 شخصاً (2).

وإذا كـان وبـــاء الــعــصــر "الإيدز" يقضي على مئات الأشخاص كل سنة في المجتمعات الأمريكية والأوربية ، فإن من المصابين به من يفضل أن يموت بيده لا بيد فيروس المرض؛ احتجاجاً على إصابته به ، فـيـقــدم على الانتحار ، كما أقدم عليه زوجان إيطاليان بأن أطلقا على نفسيهما النار بعد أن أوصيا برعاية ابنهما الوحيد(3).

وإن كان بعض ما تقدم من حالات أو مـحـاولات الانـتـحـار يبدو له ما يبرره على مستوى العقلية المادية على الأقل ، فإن كثيراً من ممارسي هذه الـظـاهــرة قد قضوا نحبهم لأسباب تبدو تافهةً أو مضحكة في نظر من أُوتي عقلاً وإيماناً..

* ففي تقرير حوادث الانتحار اليابانية -سابق الذكر- : تعتقد الشرطة أن الزيادة الحادة في إقدام الفتيات على الانتحار جاءت بعد انتحار المغنية الـشـهــيــرة "يوكيكو أوكادا 18 عاماً" ، التي قفزت من أعلى مبنى شاهق في طوكيو في إبريل 1986م(4).

* وأقــدمــت الأم الـبـريــطـانية على الانتحار بعدما فشلت في العثور على دواءٍ يضع حداً لتساقط شعرها، مخلفةً وراءها ثلاثة أولادٍ عن عمر يبلغ 43 عاماً (5).

* وانتحر الأب الإنكليزي ذو الخمسين عاماً بسبب مضايقات حماته، بعد أن نفَّذ مذبحة في أسرته ضمَّنها العجوز التي كانت سبباً في انتحاره (6).

* وأن آخر يقذف بنفسه وطفله من الطابق التاسع عشر احتجاجاً على حكم المحكمة بضم الابن لصالح الأم المطلقة (7).

* وأخرى تقرر مفارقة الحياة بسبب مرض جلدي في وجهها (8).

إلى آخر ما هنالك من الحالات الفردية التي فارقت الحياة لأتفه الأسباب...

وما سياقنا لمثل هذه الحالات إلا ليتعرف القارئ المسلم عن كـثـب على ما تعيشه الشعوب الغربية من قلق واضطراب نفسيين، وخواء روحي، وضيقِ أفقٍ نتيجة البعد عن منهج الله، والنظرة القاصرة للكون والحياة.

الهوامش:

1 - صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 22 / 4 / 1987م.
2 - صحيفة الجارديان بتاريخ 20 / 12 / 1986م.
3 - الشرق الأوسط بتاريخ 5 / 2 / 1987م.
4 - القبس 13 / 2 / 1987م.
5 - القبس 19 / 9 / 1986م.
6 - الشرق الأوسط 13 / 5 / 1987م.
7 - الشرق الأوسط 22 / 4 / 1987م.
8 - الشرق الأوسط 30 / 6 / 1987م.

الطب بين عالَمين

الدكتور أحمد القاضي

الـطــب الإسـلامـي: هو كل مــا استُحدث من العلوم والتقنية الطبية ، واتفق مع التعاليم الإسلامية ، أو التعاليم الإسلامـية وما اتفق معها من المستحدث من العلوم الطبية والتقنية.

ومواصفات الطب الإسلامي كعلم هي التميز والتفوق.

ونعني بالتميز والتفوق أن يكون طـبــاً متميزاً ناجحاً فيما فشل فيه الطب الحديث ، ولكي يكون كذلك يجب أن تتحقق فيه الشروط الخمسة التالية.

1-الإيمان ، أي أن يكون طباً ربانياً يلتزم بالتعاليم الإلهية فيما يحل ويحرم.

2- الشمولية، وذلك بأن يهتم بالمريض ككل جسداً وعقلاً وروحاً، وأن يكون هذا أسلوبه في مواجهة كل مشكلة يقابلها.

3- المنطقية (الرشد) ، بأن يكون منطقياً في تصوراته وممارساته.

4- العالمية ، بأن يكون عالمياً في مصادره لا يتحيز لمصدر دون آخر، مـا دامــت الـطـرق والوسائل والممارسات تتفق مع التعاليم الإسلامية ، وينتظر منها الفائدة.

5- المنهجية العلمية ، وهي أن نضع أية ممارسة أو منطلق نتبعه تحت الـتـمـحيص العلمي الدقيق ، فإذا ثبتت فائدته اتبعناه ، وإلا تركناه.

حينما وضعنا هذه الشروط عام 1980 افترضنا نظرياً أنه إذا اجتمعت هذه الصفات مـع ما توفر لدينا من العلوم والإمكانيات الطبية ؛ فسينتج طب جديد فريد من نوعه ، ناجـح في ممارساته.

وقد أجرينا بعض الدراسات الإحصائية في جنوب أفريقيا عام 1982 ، وفى أمـريـكا عام 1983, فثبت: أن اتباع التعاليم الإسلامية ينتج عنه نقص في نسبة الإصابة بـــالأمــراض والوفيات ، والعكس صحيح ، أي :أن مخالفة التعاليم الإسلامية ينتج عنه زيادة في نسبة الإصابة بالأمراض، ومنها السرطان وغيره من الحميات، ويتسبب في زيادة نسبة الوفيات، وهذا ما دفعنا إلى تأسيس "مؤسسة العلوم الطبية الإسلامية" عام1983 لتجسيد المـفـاهــيـم النظرية والمعلومات التي تبلورت في نطاق الجمعية الطبية الإسلامية خلال خمسة عــشــر عاماً.

وكان السؤال: إذا التزمنا ومارسنا هذه المبادئ الخمسة ، فهل يمكن تقديم طب جــديـــد ناجح متميز؟ حيث إننا قد افتقدنا هذه الشروط الخمسة في العلوم الحديثة عامة ، وفـــي الطب الحديث خاصة.

وقد يفاجأ البعض بهذه النتيجة ، لأن للعلوم الحديثة بريقاً يبهر الأبصار. والبعض يـظـن أن العلوم الحديثة بلغت الذروة!.

ومن أجل دراسة إحصائيات الطب الحديث في أمريكا خلال العشرين سنة الماضية نـظـرنا إلى ثلاثة معايير:

1- نسبة الإصابة بالأمراض.

2- نسبة الوفيات.

3- نسبة سعادة الجمهور (الصحة البدنية والنفسية).

وقد وجدنا-على ضوء هذه المعايير - :أن نسبة الإصابة بالأمراض قد زادت. صحيح أن بعضها قد تلاشى؛ لكن ظهرت أمراض جديدة محيرة لم تكن موجودة.

وأما نسبة الوفيات فقد تزايدت.

وتــلاشـــــت ســعـادة الجمهور، فقد تزايدت بدرجة كبيرة نسبة الانتحار والاعتداء على الحياة.

ونستخلص من كل ذلك: أن الطب الحديث لا يحقق ما ينتظر منه من نجاح. أي أنه فشل في عدة جبهات ، وإذا دققنا النظر بحثاً عن أسباب ذلك وجدنا أن:

أ - الإيمان - كمقـيـاس لتحديد الخبيث من الطيب - معدوم ، وذلك أن ما يحدد الطيب من الخبيث هو رأي الخـبـراء ، فإذا نـــادت الأغلبية أن زواج الرجل بالرجل أمر طبيعي فيكون مباحاً ، وإذا أجمع الخبراء أنه لا بأس بالكحول في الأدوية الطبية فإنه يستعمل في 90% من الأدوية السائدة اليوم!

ب - الشمولية وهي مفقودة في كثير من الممارسات.

فالرعاية الطبية جزئية ، حيث تهتم بجزء من المشكلة ، ولا تهتم بالأمر كله ، فمثلاً :

تأخذ الأم طفلها الرضيع إلى طبيب الأطفال المختص، فيفحص جسم الطفل وطوله ووزنه، وحالته الغذائية ونموه ، ويعطيه اللقاحات اللازمة ، ولكن لا

يتجرأ بالسؤال عن حالته الاجتماعية وحياة الأسرة الروحية ، وخططها في تنشئة الطفل من حيث السلوك أو الدين أو العقيدة ، فيعتبر هذا تدخلاً لا شأن له به ، بل يدرسون في مدارس الطب الغربية أن الطبيب يجب أن يبتعد عن الأخلاقيات!.
فنتيجة هذه الرعاية الجزئية القاصرة للطفل هناك زيادة وبائية في الانحرافات الخلقية في الجيل الناشئ ، في إدمانهم على المخدرات ، وإصابتهم بالأمراض الجسمية والنفسية ، وبعضها يؤدي إلى فقد الحياة.
وبعد ممارسة التربية الجنسية في الغرب خلال الثلاثين سنة الماضية لتحقيق الأهداف التالية:
1- القضاء على الأمراض التناسلية وتخفيض نسبتها.
2- تخفيض نسبة الأطفال غير الشرعيين.
3- تخفيض نسبة المشاكل الأسرية ، من طلاق واعتداءات وغير ذلك. ماذا كانت النتائج؟.
كانت النتائج عكس ما خطط له ، فقد نجم عن ذلك:
1- زيادة مخيفة في الأمراض التناسلية.
2- زيادة الحصول على وسائل منع الحمل وبذلها لمن يريد.
3 - زيادة مطردة لمشاكل الأسر ، من طلاق وانهيار واعتداءات وانحلال و انتحار! لماذا؟.
لأن برامج التوعية اقتصرت على النواحي الحيوية والعضوية ، وتجاهلت النواحي الخلقية والاجتماعية والدينية وقيودها ومنظماتها تماماً .
بينما قام القرآن الكريم بالتوعية الجنسية من النواحي المختلفة المتكاملة: العضوية والخلقية والاجتماعية.
4- المنطقية وهي مفقودة كذلك من كثير من الممارسات:
أ- حيث تنفق ملايين الدولارات لتوعية الجمهور وتحذيره من أضرار الكحول ؛ بينما تحتوي الصيدليات أنواعاً كثيرة من الأدوية تحتوي علي نسبة عالية من الكحول قد تؤدي إلى 90% منها ، وبعضها يحتوي على نسبة من الكحول قد تصل إلى نسبة ما في النبيذ والبيرة وبعض المشروبات الأخرى ، بل قد تزيد عنها!.
ب- تنفق آلاف الدولارات لإنقاذ مريض عمره 90 سنة في حالة غيبوبة ، وفى المستشفى نفسه قد يكون الطبيب نفسه يقضي على عشرات الأجنة الحية ، ويأخذ أجراً أو ثمناً مقابل ذلك باسم إباحة الإجهاض!.
ج - تنفق ملايين الدولارات كل عام في العالم على علاج بضع مئات من النساء - على أكثر تقدير - كي تنجب أطفال الأنابيب ، بينما يقتل خمسون مليون طفل في أنحاء العالم كل عام باسم الإجهاض.
د - تستخدم مئات الملايين من النساء وسائل منع الحمل بتشجيع ودفع من كثير من الدول وأحياناً بالإكراه (كما في الصين والهند ومصر) ، في الوقت

الذي يتحدث فيه الأطباء عن مجهوداتهم في عمليات فتح الأنابيب ، أو عمليات طفل الأنبوب!.
هـ- تنفق مئات الملايين من الدولارات على العمليات الفنية البارعة في نقل الأعضاء ، كالقلب والكبد والكلى ، أو وضع أعضاء صناعية لأفراد قاربوا على النهاية ، في الوقت الذي يموت فيه أكثر من عشرة ملايين طفل كل عام من الجوع والإسهال!.
وإن إنفاق هذه المبالغ لإنقاذ هؤلاء الأطفال سيجعل من الممكن -بإذن الله- إبعاد شبح الموت عن مـــلايــيــن الأطـفـــال البائســين في العالم كل عام، والذين أمامهم أيام وسنين طويلة ومستقبل، كما يمكن أن يكونوا أدوات إنتاج مفيدة.
4- العالمية (الانفتاح على كل ما هو مفيد).
ينظر أغلب متخرجي المدارس الغربية بتوجس إلى كل ما هو غريب عن مدارسهم ، ولذلك يفتقد الـطب الحديث كثيراً من الآراء والممارسات المفيدة في مضمار الطب ، كالطب العربي والـطـب الصيني (الوخز بالإبر) كذلك في توزيع نتائج المعرفة الطبية ، فهناك تفاوت كبير بين طبقات المجتمع وبين الشعوب والدول في مدى استفادتها من الخدمات الطبية.
5- المنهجية العلمية. ونعني بها :الملاحظة الدقيقة للإحصائيات الأمنية والاستنتاج المنطقي ، أي: الأسلوب القرآني.
وهذه المنهجية العلمية نفتقدها في كثير من مجالات الطب الحديث ، سواء في البحث العلمي أو في الممارسات التطبيقية ، إضافة إلى أن هناك كثيراً من الممارسات غير الأخلاقية في مجال البحث العلمي بين الحين والآخر في الغرب.

تاريخ العلاقات الشيوعية الصهيونية

بقلم: محمد آمحزون

في غـيـاب المـفـاهـيم الإسلامية الصحيحة، ولأن الرأي العام في العالم الإسلامي هو فريسة خداع منظم متصل، يحاول إغراق المنتسبين إلى الإسلام في الجهل والتبعية باسم الشعارات المضللة، وحيث إنه ليس في العالم الإسلامي من يجهل دور الغرب الصليبي في المؤامرة ولم يتـحـدث فـيـه ويكـتـب عنه ؛ ولـكـن الكثير هم الذين يجهلون صلة البلشفية والشيوعية باليهودية والصهيونية فكراً ونظاماً ، ودورها في خلق ما يسمى إسرائيل ، فإني سأكشف النقاب في هذا المقال عن أبعاد هذه الصلة وحقيقتها وأهدافها لخدمة اليهودية الصهيونية أولاً وأخيراً.

أثر اليهود في الثورة البلشفية وفي الفكر الشيوعي:

قامت الثورة البلشفية في روسيا عام 1917م لإسـقـاط القيصرية وإقامة دولة شيوعية. ومما يلاحظ أن اليهود كانت لهم سيطرة شبه مطلقة على هذه الثورة وقيادتها حتى وفاة لينين. ففي دراسة حديثة صدرت عام 1965م لـكـــاتب يهودي أمريكي عاصر لينين ورافقه وهو "لويز فيشر" ورد أن لينين يهودي الأصل. وذهبت إلى نفس القول مجلة "فرنسا القديمة" عام 1918م ، وصحيفة "الـــســاعـــــة الباريسية" ذات الاتجاه الاشتراكي الراديكالي عام 1917م ، وقالت: إن اسم لينين اليهودي هو (زيدر بلوم).
ومما يؤكد دور اليهود في هذه الثورة البلشفية أنه في شهر مايو عام 1907م انعقد في لـنـدن مــؤتــمـــر الـحـــزب الشيوعي الخامس والأخير قبل الثورة، حضره (105) مندوبين عـن البلشفيك بزعامة لينين، و (97)من الـمـنـشـفـيـك بزعامة مارتوف و(44)من الديموقراطيين الاشتراكيين تتزعمهم روزا لوكسمبورغ ، و(55)من الاتــحــاد الـيـهــودي يتزعمهم رفائيل ابراموفيتش وليبرغولدمان ، و(35)من الديموقراطيين الاشتراكيين اللـيـتوانـيـيـن يتزعمهم دانــيـشـفـسـكــي، وكانت قـيـــادات هذه المنظمات جميعاً لليهود: لينين، مارتوف، روزا لوكسمبورغ ، ابرا موفيتش ، ليبر غولدمان ، دانيشفسكي. وضم المؤتمر من أصل (336) مندوبٍ (220) مندوب يهودي و (116) من أصل غير يهودي. وأعقب هذا المؤتمر إصدار صحيفتين: صحيفة "بروليتاريا" ، وتمثل البلشفيك ويحررها لينين وبروفنسكي وزينوفييف وكامينييف وكلهم من اليهود ماعدا بروفنسكي. وصحيفة "غولوس سوسيال ديموكرات" أي الصوت الاشتراكي الديموقراطي ، ويحررها مارتوف وبليخانوف وإكسلرود ومارتينوف - بيكل - وكلهم يــهـــود ماعدا بليخانوف. ثم أصدر تورتسكي اليهودي أيضاً في نفس العام 1908 صحيفة "فيينا برافدا". وهــكـــذا كـانـــت مصادر الفكر الشيوعي جميعاً تسيطر عليها عناصر يهودية ، كما كانت المنظمات الماركسية كلها من صنع أيديها وتنظيمها وبقيادتها.
وقد لقيت الحركة البلـشـفية دعماً مالياً مكشوفاً من البيوتات اليهودية الكبيرة: فقد صرح جاكوب شيف المليونير اليهودي بأن الثورة الروسية نجحت بفضل دعمه المالي ، وقال إنه عمل على تحضير ذلك مع تروتسكي. وفي ستوكهولم كان اليهودي "ماكس واربورك" ينفق بسخاء على هدم النظام القيصري بسبب عدائه لليهود. ثم انضم إلى هؤلاء يهود آخرون من أصحاب الملايين: والف شبورك ، وجيفو لوفسكي الذي تزوج تروتسكي ابنته.
وبعد موت هرتزل تولى زعامة الحركة الصهيونية حاييم وايزمن الذي التقى مع لينين في 8 مايو 1916 بحضور الــكـاتـــب الصهـيوني جاك ليفي في بيت الصناعي اليهودي دانيال شورين في زيورخ بسويسرا لبحث المخطط الثوري الاشتراكي لتقويض القيصرية التي كانت تقف في وجه إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.

ومما قاله لينين لوايزمن: "على نجاح الـثــورة في روسيا يتوقف تحرير اليهود من كابوس ملوك أوربا وحكامها ورفعهم إلى أعلى المراتب في الدولة ، وفرض احترامهم وشخصيتهم ، وسوف تحقق الثورة "في روسيا" للشعب اليهودي المشتت ما عجزت عن تحقيقه لهم الثورة الفرنسية عام 1787".
واقتنع وايزمن بالفكرة وقال للينين: "إن فتح أبواب الشرق واستقرار اليهود في فلسطين يتوقف في الدرجة الأولى على تدمير الامبراطورية العثمانية ، وبتدميرها تزول الحواجز والعقبات التي تعترض المسيرة إلى أرض الميعاد... عمرها أصبح مـحــدوداً، وانهيارها وشيكاً. لابد من إنشاء دولة يـهــوديــة في فلسطين بعد أن تحقق الثورة الروسية أهدافها".
وفي أعقاب نجاح الثورة واستيلاء الشيوعيين على السلطة قام لينين:
أولاً: بإصدار قرار بتحريم العداء للـيـهــود، أي أنه اعتبر العداء لليهود جريمة معاقباً عليها. وكان قراره تعبيراً عن عرفان الثورة بــالـجـمــيــل ليهود روسيا في دورهم الأساسي بتقويض النظام القيصري. ونجد هنا أن لينين ألغى الموقف الرسمي والمجتمعي من الـيـهود دون أن يلغي في المقابل موقف اليهودية من الدولة والمجتمع، وهــو مــوقـــف يـقـوم على التغلغل في المرافق والمراكز الحساسة واستغلال النفوذ.
ثانياً: أصدر إعلاناً يعد فيه بتأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وكان ذلك في نفس المرحلة الزمنية التي أصدر فيها بلفور-وزير خارجية بريطانيا-وعده المشهور بإقامة وطن قـومــي للـيـهـود في فلسطين. ولم يكن هذا التوافق فلتة أو مصادفة وإنما حدث وفق مخطط مدروس. وبذلك حـقـقت اليهودية انتصارين في اتجاهين مختلفين وبقوتين متناقضتين. فقد كانت هذه المسألة-إقامة كيان صهيوني في فلسطين- نقطة الالتقاء الوحيدة عام 1917م بين الشيوعية والرأسمالية. وعــلاوة على ذلك فإن لينين -قائد الثورة-بنى فكره وإيديولوجيته انطلاقاً من الفكر الماركسي ، ومـــاركــس كما هو معروف كان يهودياً ، ويجهل كثير ممن وقعوا في شباك الماركسية أن ماركس الــذي اشتهر بالدفاع عن الحرية وحرية المستضعفين بصورة خاصة كان يؤيد الامبراطورية البريطانية -وهي إمبراطورية إمبريالية توسعية- بل وقد جعل مصالح الديموقراطية الثورية ومصالح إنجلترا مترابطة وفي كفة واحدة ، وعبر عن ذلك في إحدى المقالات التي كتبها في صحيفة "نيويورك تربيون" الأمريكية التي كان مراسلاً لها في أوربا قال:
"ففي هذه المسألة-أي المسألة الشرقية- نرى أن مصالح الديموقراطية الثورية مترابطة مع مصالح إنجلترا بشكل وثيق. فلا الديموقراطية ولا إنجلترا تستطيع أن تدع القيصر يجعل من القسطنطينية إحدى عواصمه ، وإذا سارت الأمور نحو الأسوأ فإننا سنرى الواحدة أو الأخرى تتصدى له بنفس الزخم والمقاومة" [نيويورك تربيون Tribune New York
7 إبريل 1853م] .

كيف ذلك ونحن نعلم أن بريطانيا ذات اتجاه ليبرالي إمبريالي يتناقض قلباً وقالباً مع ما يسمى الديموقراطية الثورية أو الاشتراكية الثورية التي يزعم ماركس أنه يتبناها! إن في ذلك تناقضاً واضحاً يكشف النقاب عنه أن ماركس رغم تظاهره بالإلحاد لإضلال وغواية البشر كان يهودياً في الصميم ؛ إذ كانت بريطانيا وقتئذ موئل اليهود وسندهم أكبر إلى جانب هولندا ، وذلك قبل أن ينتقل مركز الثقل اليهودي بصورة نهائية إلى الولايات المتحدة. بل كان ماركس صهيونياً ، وله كتاب اسمه: "المسألة اليهودية" ؛ فقد اتصل عام 1862م بفيلسوف الصهيونية الأول وواضع أساسها النظري "موشي هيس" صاحب كتاب "الدولة اليهودية"، . وعن هذا أيضاً تلقى "تيودور هرتزل" الذي لم يزد على أفكار "موشي هيس" سوى أن بسَّطها وأقام لها تنظيمها السياسي فيما يعرف بالحركة الصهيونية.

وقد بلغ من إعجاب ماركس وتأثره بـ "موشي هيس" أن قال عنه في كتابه "المـــســألـــــة اليهودية": "لقد اتخذت هذا العبقري لي مثالاً وقدوة ، لما يتحلى به من دقة في التـفـكــير واتفاق آرائه مع عقيدتي وما أومن به" ، وكذلك فإنه مما يلفت النظر إلى أن ماركس قــــد عبر بالشيوعية عن يهوديته ما كتبه فيما بعد "الحاخام لويز بورنس" ، وهو أحد أقـطـاب الصهيونية الحديثة قال: "إن كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعدَّ له أشد إخلاصاً لإسرائيل من الكــثــير ممن يتشدقون اليوم بدورهم في مولد الدولة اليهودية".

ومما يثبت أيضاً أن لليهود دوراً هاماً في ترويج الفكر الشيوعي ما ورد في البروتــوكــولات الصهيونية ؛ فقد جاء في البروتوكول الثاني:

"لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولاحظوا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الشعب الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد".

هذا بالإضافة إلى شواهد أخرى لا يتسع المجال لذكرها كلها ؛ فقد نشرت مجلة " فريكان هيبرو في عددها الصادر يوم 10/ 3 / 1920م وهي من كبرى المجلات اليهودية:

"إن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود.. وإن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم". وبتاريخ الخامس عشر من شباط عام 1968 ألقى ألكسي كوسيغين خطاباً في مدينة (مدينسك) السوفيتية جاء فيه: "نحن لسنا أنصار حرب جديدة في الشرق الأوسط ، بل على العكس نريد سلاماً مستقراً في المنطقة ، وهناك بعض الدول العربية تؤيد هذا الموقف. إننا نرفض تصفية إسرائيل ، بل نؤيد استمرار إسرائيل كدولة".

ومما يلاحظ أن الاتحاد السوفييتي منذ بداية الثورة البلشفية لم يتحرج في اتخاذ موقف التأييد المطلق والتنسيق المتكامل بينه وبين الحركة الصهيونية

قبل قيام إسرائيل وبعد قيامها. ومن مطالعة النصوص والوثائق التي تغص بها سجلات الأمم المتحدة -ويستطيع كل إنسان الحصول عليها بأي لغة شاء- يتضح عدد من الحقائق والمواقف التي تدين الاتحاد السوفياتي في تأييد قيام إسرائيل وفي التمهيد لها ، ثم في توفير ظروف استمرارها وبقائها وقوتها.

الشيوعية في بلدان أوربا وأثر اليهود فيها:

لو دققنا في قيادات الحركات الشيوعية الأخرى خارج روسيا لوجدناها غاصة باليهود على مستوى القيادة والتنظيم أو على مستوى الفكر والمحتوى.

ففي ألمانيا بعد نجاح الثورة الشيوعية الأولى عام 1917م ، قامت ثورة شيوعية مماثلة قادتها روزا لوكسمبورغ ، وهي يهودية بولونية شاركت وأسهمت في النشاط الشيوعي مع التنظيمات الماركسية الأولى خارج الاتحاد السوفياتي لكن هذه الثورة قمعت ثم أعدمت روزا لوكسمبورغ. وقد أوفدت الأممية الشيوعية "كارل رادك" لقيادة الحزب الشيوعي الألماني في أعقاب فشل روزا لوكسمبورغ ، ثم تبعته "روت فيشر" وكلاهما يهودي.

وفي نفس هذه الفترة تقريباً قام يهودي شيوعي آخر وهو "بيلاكون" بثورة في هنغاريا وكان هذا عام 1919م. وقد أعقب هذه الثورة مجازر ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المواطنين. وكان الحصاد مجاعة عامة انتهت بإسقاط "بيلاكون" ؛ الذي فر وعاد إلى روسيا ليتسلم فيها إدارة منظمة الإرهاب في الجنوب منها.

وفي بلدان أوروبا الشرقية الأخرى لم يكن اليهود أقل نفوذاً وارتباطاً بالحركة الشيوعية.

ففي رومانيا كانت سكرتيرة الحزب "أنَّا باوكر" التي ولدت في بوخارست لأبوين يهوديين ثم هاجر والداها وكان جزاراً - مع أحد اخوتها إلى إسرائيل واستوطنها. عاشت فترة من الزمن في أمريكا ، ثم استطاعت أن تبلغ ذروة السلطة في الحزب الشيوعي الذي تسلَّم الحكم في أعقاب الحرب العالمية الثانية من الجيش الأحمر.

وفي بولونيا ظل يحكمها إلى فترة غير بعيدة أربعة يهود هم: مينك وسكريينر فسكي ، ومودز يلفسكي ، وبرمان ، وهذا الأخير كان يعيش في روسيا ، ثم اختارته موسكو ليكون حاكم بولونيا الخفّي بعد الحرب.

وفي تشيكوسلوفاكيا استطاع اليهودي سلانسكي أن يفرض ديكتاتورية حمراء أخرى ، ثم شملته حملة التطهير ، لكن الذين حاكموه كانوا أيضاً من اليهود: سيفان رايتز وغيره ، وظلت تشيكوسلوفاكيا تحت حكم اليهود الشيوعيين ، وقد تمكن هؤلاء من تنظيم مساعدة إسرائيل عام 1948 م عسكرياً وبشرياً وأمدوها بالكثير من أسباب القوة ، ثم صاروا يمدونها بعد ذلك بكل أخبار صفقات التسلح الشيوعي إلى البلدان العربية ، ومواقع جيوشها وكفاءتها وتنظيماتها ، وكل ما اتصل بأسرارها العسكرية ، وإلى جهود هؤلاء وإلى

عوامل أخرى يرجع الفضل فيما حققت إسرائيل من نصر خاطف عام 1167 م.
وفي هذا الصدد نذكر قول الشاعر :

ونشحد من يهود الشرق عدلاً كمن تخذ الغراب له دليلاً

وحين نبحث عن أصول وزراء التعليم والتربية في جميع بلدان أوربا لشرقية في الستينات نجدهم يهوداً وبغير استثناء. ويرجع حرص اليهود على هذه الوزارة بالذات إلى حرصهم ؛ على توجيه النشء وصياغة أفكاره وفق المخطط الذي أعدّوه.
قائمة لبعض القيادات اليهودية العليا في الحركة الشيوعية والتي كان لها دور في الثورة البلشفية.
لينين:اسمه الأصلي: زيدر بلوم. قائد الثورة البلشفية عام 1917 الأمين العام للحزب حتى وفاته.
كروبسكايا: زوجة لينين ، شغلت أمانة سّر لجنة تحرير "الأيسكرا" ، أول صحيفة شيوعية.
تروتسكي: اسمه الأصلي "برونشتاين" ، عاش فترة من حياته في نيويورك ، رئيس سوفيات بطرسبورغ عام 1905 م ، أسهم في ثورة 1917م.
روزا لوكسمبورغ: يهودية بولونية ، أسهمت في جميع النشاط الشيوعي الذي سبق ثورة روسيا ، وكانت مع أعضاء حزبها شريكة في التخطيط للحركة الشيوعية في أوربا.
بــارفــوس: رئيس سوفيات بطرسبورغ بعد تروتسكي، أسهم في ثورة 1905 و1917م
مارتون: عضو تحرير صحيفة "أيسكرا" الصحيفة الشيوعية الأولى. قاد الانشقاق ضد لينين وسمى أنصاره المنشفيك ، اسمه الأصلي: رباوم.
زينوفييف: كان يعرف مع لينين وكامينيف بالثلاثي ، وهو صديق لينين الشخصي وأحد أبرز العناصر الشيوعية ، ترأس الأممية الشيوعية من عام 1919م حتى 1926م .
إكسلورد: عضو تحرير صحيفة "أيسكرا" ومن القادة الأوائل للحركة الشيوعية مع بليخانوف في جنيف.
ليبر غولدمان: من رواد الحركة الشيوعية الأوائل ، أسهم في مؤتمر لندن عام 1907 م.
لتفينوف: واسمه الأصلي مايروالاش- وزير خارجية روسيا بين 1930-1939 ، أسهم في سرقة بنك تغليس قبل الثورة للحصول على المال وتمويل الحركة الشيوعية.
سفردلوف: أحد قادة الثورة البلشفية ومن العناصر البارزة في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتى ، ورئيس لجنة الدستور وثانى رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة.

كامينيف: أول رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة البلشفية.
يوريتزكي: رئيس مفوضية الجمعية التأسيسية التي قامت في أعقاب الثورة.
رادك: قاد الحزب الشيوعي الألماني موفداً من الأممية الشيوعية بعد إعدام روزا لوكسمبورغ ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد وفاة لينين.
وارون أيزفوفتش كرمر: عضو اللجنة المركزية للمؤتمر الأول للحزب الذي وحد المنظمات الماركسية في روسيا القيصرية.
روز شتاين: المشرف على جميع الشؤون الشرقية وما يتصل بالعلاقات الروسية - الإسلامية في الدولة الشيوعية بعد الثورة. وقد أشرف على تأسيس أول حزب شيوعي في فلسطين عام1919م ، وكان حزباً يهودي القيادة. وإلى العناصر اليهودية في هذا الحزب أوكل أمر إنشاء الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية.
ولمن يريد التوسع في موضوع العلاقات الشيوعية الصهيونية فليرجع لكتاب "التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية" لنهاد الغادري ، من منشورات دار الكتاب العربي ؛ وهو كـــتــاب يـكـشــف عن الصلات بين الحركتين الشيوعية والصهيونية وعلاقتهما الواحدة وفكرهما الواحد وعــنــاصـــــر تكوينها المشتركة. ويقدم مجموعة من الوثائق تدين الحركة الشيوعية بالعمل بالتوافق مع الحركة الصهيونية ولمصلحة اليهودية ، كما يقدّم مجموعة من الوثائق لتاريخ الأحزاب الشيوعية العربية ودور اليهود في إنشاءها وتمويلها.

أثر اليهود في نشر الفكر الشيوعي في البلاد العربية الإسلامية:

إن اليهود بدأوا منذ القرن التاسع عشر - على الخصوص - في التطلع والتخطيط لإقامة كيان صهيوني في فلسطين. وقد كانوا يعلمون جيداً أن ليس بإمكانهم أن يـــطــــــأوا أرض فلسطين بأقدامهم وأن يقر لهم فيها قرار إلا في حالة ضعف المسلمين وتخلفهم ، كما كانوا يدركون أن الإسلام هو السر الحقيقي لقوة المسلمين ونهوضهم. ولذلك أقدموا بما لديهم من هيمنة على وسائل الإعلام المختلفة على نشر الفكر الشيوعي وتمويل وتأسيس الأحــزاب الشيوعية في البلاد العربية ، ونشر الإلحاد وغير ذلك من المفاهيم العلمانية المادية التــي تدعو المسلمين إلى فصل الدين على الدولة ، وعن الحياة والتحلل من الأخلاق والـــقـــيم الإنسانية. وكان ذلك تحت ستار الشعارات الخادعة المضللة ، فتغلغلت تلك الأفــكــار في عقول كثير من الشباب الذين فقدوا التوجيه الصحيح والفهم العميق المستنير للإســــــلام لأسباب داخلية أهمها غياب الإسلام عن الساحة كنظام حضاري ومنهج حياة شـــامـــل، ولأسباب خارجية أهمها الغزو الشيوعي الصهيوني والصليبي للعالم الإسلامي ، واستيراد أساليب وأنظمة ظاهرها التقدمية والتحرر ، وباطنها الاستلاب والاحتواء والجمود. فــقـد جرب المنتسبون إلى الإسلام مختلف الأنظمة

الوضعية من ليبرالية واشتراكية فلم تزدهم إلا بلة وجموداً وتأخراً وتبعية للغير. علماً بأن الظروف التي مرت بها أوربا وجعلتها تـــكـره الدين - بمفهومه الكنسي المحرّف الضيق الانتهازي - هي ظروف ليست مــوجـــــودة في الإسلام ، ولله الحمد.
وقد استغل الشيوعيون اليهود وعلى رأسهم ماركس معركة الدين والعلم ، والدين والدولة في أوربا للتمويه والمغالطة وتعميم الأحكام بالقول أن الدين أفيون الشعوب -أي الدين عامة - وأنه يتعارض مع النظر العقلي ، وهي شبهة لها مجالها الحقيقي في واقع الكنيسة والفكر الغربي ، بينما لا نجد لها أي أثر في الإسلام والفكر الإسلامي.
إن الكنيسة في غرب أوربا حرّفت الدين المنزل من عند الله ، ونشرت الأوهام والخرافات بين الناس ، وابتزت الأموال بغير حق ، ووقفت في وجه الحركة العلمية وحجّرت الفكر. ولاشك أن هذه المواقف الكنسية السلبية باسم الدين أعطت له مفهوماً مظلماً قاتماً ظل يعيش في أعماق الفكر الأوربي في العصر الحديث. هذا علاوة على أن التحريف الذي وضعه الفكر الغربي للدين لا يمكن أن ينطبق على الإسلام ؛ فرجل الدين في الغرب يوصف بأنه لا يصلح لفهم أمور الحياة والتدخل في شؤون الدولة بسبب انقطاعه عن صحبة الناس في الأديرة والكنائس ، إذ أن الكنيسة في الأصل تركت القوانين والأوضاع التي كانت تسود الإمبراطورية الرومانية تتحكم في شؤون الناس.
أما الإسلام بمفهومه الصحيح المستمد من الكتاب والسنة - لا بمفهوم المنافقين الذين يرفعون شعار الإسلام ، لكن في آن واحد يجزئونه ويشوهونه تبعاً لأهوائهم ومصالحهم الخاصة - فقد أقام العدل والمساواة بين الناس ؛ لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم في الحقوق والواجبات ، وأمر بالشورى وحرية التعبير في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وشجع العلم ، وحرر الإنسان من رق التقليد الأعمى وربّاه على حرية الفكر والاستقلال في الإرادة مع التقيد بالدليل ؛ فهي حرية فكرية تقوم على قواعد النظر والاستدلال بعيداً عن الأهواء والأوهام. ولم يقف أمام الحضارة والعلم والمدنية معارضاً أو مناهضاً كما فعلت الكنيسة في العصور الوسطى ، بل كان باعثاً للانطلاقة العلمية التي أدت إلى ابتكار المسلمين للمنهج العلمي التجريبي.
وهذا المنهج التجريبي هو الذي تسلمته أوربا من المسلمين عن طريق الأندلس وصقلية والشام وأقامت عليه مدنيتها الحديثة وعلاوة على هذا فإن الإسلام لا يقتصر على الشعائر التعبدية -كما هو الأمر عند الكنيسة- بل هو منهج كامل للحياة الإنسانية ؛ إذ إن معنى الإسلام: الاستسلام والانقياد والخضوع لله والتزام حكمه في كل شؤون الحياة ، أي بمعنى إسلام النفس كلها لله حيث تكون أفكار الإنسان ومشاعره وسلوكه العملي كلها محكومة بالدستور الذي أقره الله. فالسلطة التشريعية حق لله سبحانه وتعالى لا يجوز

أن يشاركه فيها أحد ، ومدار الإسلام على ذلك كله ، قال تعالى:((فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [النساء:55] ، وقال تعالى: ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ)) [المائدة:44]. وقال جل وعلا: ((إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ)) [يوسف:40] إلى غير ذلك من التقريرات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم.

ويبدو شمول التشريع الإسلامي أيضاً في بعدٍ آخر وهو النفاذ إلى أعماق المشكلات الإنسانية المختلفة ، ما يؤثر فيها وما يتأثر بها ، والنظر إليها ومعالجتها معالجة محيطة مستوعبة مبنية على معرفة النفس الإنسانية وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وضرورياتها ، ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها وربط التشريع بالقيم الإنسانية على الصعيد الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي ، فجاء هذا التشريع لخدمة الإنسانية ولمصلحة الجميع ، ((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)) [الملك: 14].

ومما يلاحظ أن الحملات التي تُوجَّه ضد الدين الحق - وهو الإسلام - إنما توجه من قبل دعاة المذاهب المادية وعلى رأسهم اليهود ضمن مخطط رهيب يتبلور من خلال الغزو الفكري الذي حاول بمختلف الأساليب القضاء على أثر الإسلام في عقر داره ، وإيهام المخدوعين من أبناء هذه الأمة أن لا سبيل للتقدم إلا بإبعاد الإسلام عن مجالات الحياة المختلفة ؛ هذا كسلاح لتركيز السيطرة اليهودية والتمكين لها في البلاد الإسلامية ، إذ يدرك اليهود جيداً أن الإسلام يقف سداً منيعاً في وجه أي احتواء أو تبعية أو تنازلات لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بأرض إسلامية كفلسطين وتهجير وتشريد شعب مسلم بأكمله.

وهذه قائمة لبعض اليهود ممن كان له أثر كبير في تمويل وتأسيس الأحزاب الشيوعية العربية:

ليون سلطان: يهودي مغربي ، مؤسس الحزب الشيوعي بالمغرب عام 1943 م.

أبراهام السرفاتي: شمعون ليفي: يهوديان مغربيان أسهما أيضاً في إنشاء الحزب الشيوعي بالمغرب تحت رئاسة "ليون سلطان" السابق الذكر ، وهما عضوان في حزب التقدم والاشتراكية.

يعقوب كوجمان: يهودي عراقي ، من مؤسسي الحزب الشيوعي في العراق.

أميل ، أوسكا ، مولر: ثلاثة شيوعيين يهود حملوا الأموال والتوجيهات الأجنبية للحزب الشيوعي السوري اللبناني. وقد وردت أسماؤهم في اعترافات وفيق رضا القائد الشيوعي القديم ، وجميعهم من موفدي الكومنترون.

ساسون دلال: يهودي عراقي ، من مؤسسي الحزب الشيوعي العراقي ، تولى مناصب قيادية فيه.

برنمو: يهودي شيوعي من فلسطين. كان مستشاراً لقيادة الحزب الشيوعي السوري اللبناني.
هلل شفارتس: مؤسس منظمة "الأيسكرا" في مصر.
مرسيل إسرائيل: مؤسس منظمة الشعب الماركسي في مصر.
جاك تيبر شامي: رئيس الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، وهو يهودي روسي الأصل من فلسطين.
كورييل: يهودي مصري إيطالي الأصل ، مليونير ، أسس الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني في مصر ، وهي حركة شيوعية انضم إليها فترة من الزمن بعض عناصر القيادة الحاكمة في مصر.
أبو زيام: شارك جاك تيبر -السابق الذكر- في توجيه الأحزاب الشيوعية في سوريا ولبنان وفلسطين ، ويعتبر من أبرز خبراء الكومنترون في شؤون الشرق العربي. وقد تزعم الحزب الشيوعي في فلسطين بين عامي 1924-1929م.
أفيجور: يهودي روسي ، انتدبه الكومنترون لتأسيس الحلقات الماركسية الأولى في مصر.
إن خطط اليهود المتآمرين على الأمة الإسلامية لا تقف عند حد ، وتكاد تكون هي ذاتها منذ هجرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة: تغذية الأحقاد وإذكاء النفاق وإشعال نار الفتن لتدمير المجتمع الإسلامي بنشر الإلحاد والفساد والانحلال بين أفراده باسم الليبرالية تارة وباسم الشيوعية تارة أخرى.
ألم يأن للمسلمين أن يتصدوا للمتآمرين على وجودهم وكيانهم وعقيدتهم ويقفوا صفاً متراصاً لإحباط خطط اليهود.
ولعل فيما قاله أحد مشاهير الفلاسفة - إدمون يوركه - ما يشير إلى الطريق الذي يجب على قوى الخير المتمثلة في المسلمين سلوكه لإنقاذ أنفسهم بل وإنقاذ البشرية من المخططات الإجرامية لقوى الشر المتمثلة في اليهود وغيرهم: "إن كل ما تحتاج إليه قوى الشر لكي تنتصر هو أن يظل أنصار الحق مكتوفي الأيدي دون القيام بعمل ما".

جديد... قبل نصف قرن

لندن في 1937م:

دولتان جديدتان ستظهران على خـارطـة العالم في غضون سنتين ، وذلك فيما إذا تم تبنّي الاقتراحات المقدمة في الهيئة الملكية الـتي تعـني بشؤون فلسطين ، والتي كانت قد نشرت تقريرها هنا (في لندن) في 7/7/1937، و بموجب الخطة التي أعدتها الهيئة فإن الانتداب الـبـريــطـانـي سـيـنـقـسـم إلى دولتين مستقلتين: إحداها يهودية ممتدة على طول الساحل الـفـلـسـطـيني، وأخرى عربية في المناطق الداخلية. وستتم إقامة مثلث بين

الدولتين يتخذ شــكــل اســتــمــرار الانتداب البريطاني للمدن الفلسطينية (القدس، الناصرة، بيت لحم)، وكذلك الشريط الضيق الذي تمتد عليه هذه المدن والذي يمتد من القدس وحتى يافا.
وقد أخرت الحكومة البريطانية الخطة وأوعزت إلى بعض سفنها الحربية [هود وريبلسي] إلى التوجه من مالطة إلى حيفا تحسباً لأي قلاقل.

هيرالدتربيون 8 / 7 /1987 م

قبل نصف قرن من الآن ، وبالتحديد في 7/7/1937 م انتهت الهيئة الملكية البريطانية من مسودة خطة لتقسيم فلسطين إلى دولتين: إحداها عربية والأخرى يهودية ، على أن تظهر هاتان الدولتان إلى حيز الوجود في غضون سنتين من التاريخ المبين ، وذلك في حالة تبني الخطة. وقد وافقت الحكومة البريطانية حينئذ على تبني خطة الـتـقـســيــم (وكانت قد تعهدت من قبل في 1917م على لسان وزير خارجيتها بلفور على إنشاء وطن قومي لليهود) وأوعزت إلى بعض سفنها الحربية للإبحار من مالطة إلى حيفا تحسباً لوقوع بعض القلاقل والاضطرابات من جانب العرب احتجاجاً على هذا القرار.
هذه مجرد إشارة عابرة إلى واقعة من وقائع تاريخ العلاقات البريطانية العربية الحالك السواد ، والتي كانت محكومة بتجاهل العرب وحقوقهم من قبل الإنكليز ، وبالنظرة الاستعمارية المتغطرسة ذات الوجهين: وجه التملق والمخادعة الذي تتعامل به مع المسؤولين ، ووجه البطش والإرهاب الذي تكبت به صوت الشعوب التي تود التعبير عن حقوقها.
ولــكــن كل ذلك معروف ومفهوم، فليس لنا أن نلوم العدو أن يكون عدواً، ولا صــاحــب المصلحة أن يحتال لتحقيق مصالحه الخاصة ؛ ولكن غير المفهوم هو تسابقنا نحن العرب إلى خطب مودة هذه الدولة العريقة في صناعة المشاكل وإنتاج الآلام لأغلب شعوب الأرض، ورجاؤنا لها كي تساعدنا وتقـف إلى جانبنا لتحصيل حقوقنا الضائعة، مع أن كل حيثيات الماضي والحاضر تدلنا على أننا نعتمد على أوهام ، ونركن في إرواء عطشنا إلى سراب.
وشـتـان بين موقفنا الدائم من بريطانيا وبين موقف اليهود من ألمانيا التي أرغموها على أن تظل رهينة دعايتهم وابتزازهم ، وعلى الرغم من تعويضها لهم بالأسلحة والأموال إلا أنه يبدو أنه لا ألمانيا ستقف عن دعم اليهود، ولا هؤلاء يشعرون أن ما قدمته وتـقـدمــه لـهـم ألمانيا كافٍ للتكفير عن جرائمها المزعومة!.
فأين قادة من قادة؟! وأين مواقف من مواقف؟!.

دحض شبهات
حول نظام الأسرة في الإسلام

د. محمد بن عبد الله السلمان

تمهيد:

مـنـذ أن ظـهـر الإســلام ديـناً ارتضاه الله تعالى للبشرية في كل زمان ومكان وأعداؤه - وما أكثرهم - يتربصون به الدوائر ، ويتلمسون كل طريق ليبعدوا المسلمين عن دينهم بتشويههم مبادئ هذا الدين ، معتقدين عن جهل أو حقد- وهو الغالب- أن هذه الشُبه حقيقة واقعة، وما علموا أن ما زعموه من شُبه إنما هي من ميزات الإسلام ، ودلالة واضحة على صلاحيته شريعة ومنهج حياة. بل إن حديثهم العدواني عن الإسلام كثيراً ما يكون سبباً في نشره واتساع محيطه ومعتنقيه كما قال الشاعر:

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عَرْف العود
وإذا أراد الله نــشــر فـضـيـلة طـويـت أتــاح لها لـسان حسود

ولكي لا يطول بنا الحديث نعالج الموضوع من عدة نقاط هي:

مشروعية الزواج في الإسلام:

إن أساس عناية الإسلام بالأسرة : حضه على الزواج وترغيبه فيه ، لأنه أساس لتكوين الأسرة المسلمة وبالتالي تكوين المـجــتمع المسلم ، وقد وردت نصوص كثيرة تحث على الزواج وترغِّب فيه عند الاستطاعة ، ومن ذلك قوله تعالى:((ولْيَسْتَعْفِفِ الَذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ)) [النور: 33].

وما رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - :أن رسول الله -صلى الله عـلـيـه وسلم- قال:" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء"(1). ومعنى ذلك: أن الإسلام حريص على تكوين الأسرة المسلمة وكثرة أفرادها بالزواج، ليعيش الطفل المسلم بين أبويه ينهل من رعايتهما وعطفهما. وقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن الأطفال الذين يعيشون بين أبويهم أقوى جسماً وعقلاً وعاطفةً من أطفال الملاجئ.

ولا تقتصر حكمة الزواج في الإسلام على ذلك ، بل تتعداه إلى حِكم أخرى لاشتمال الزواج على مصالح كثيرة منها: تحصين الزوج والزوجة ، وتكثير الأمة ، وتحقيق مباهاة رســول الله -صلى الله عليه وسلم- بكثرة أمته(2)، بـل قـــرر بـعـض العلماء أن الزواج أفضل من نوافل العبادة (3).

شبهة تعدد الزوجات:

إذا كان الإسلام قد حث على الزواج فإنه - بجانب ذلك - أباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع نسوة ، واشترط توفر العدل بين الزوجات. وقد وجد أعداء الإسلام في ذلك وسيلة للنيل منه ، وذلك بزعمهم أن في ذلك إهانة للمرأة. وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور هي:

1- الإسلام أباح التعدد ولم يأمر به أو يحث عليه ، وفــرقٌ بين إباحة الشيء والأمر بـه، فالإسلام أباح التعدد حلاً لكثير من المشاكل الاجتماعية التي تحصل

من جرَّاء منع التعدد وتحريمه ، فهو في ذلك مراعٍ للفطرة الإنسانية السليمة التي تتطلب ذلك.

2- اشتراط الإسلام العدل بين الزوجات في الإنفاق والمعاملة. فمن يتزوج بأكثر من واحدة ولـم يـعــدل بــيـن زوجاته كان آثماً في عمله كله. يقول تعالى: ((فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ فَإنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)) [النساء / 3]. وفى الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أن من لم يعدل بين زوجاته جاء يوم القيامة و شِقه مائل".

3- عندما تكون الزوجة عقيماً ، فالتعدد حلٌ لمشكلتها مع زوجها الذي قد يرغب بإنجاب الأولاد ، ولاشــــك أن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خيرٌ لها من أن يطلقها ويتزوج بأخرى.

4- عندما تكون الزوجة مريضة أو غير قادرة على القيام بواجباتها تجاه زوجها إما لمرض جسمي أو غيره ، فـــإن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خير لها من فراقها وهي على هذه الحالة.

5- عندما تكون نسبة النساء في مجتمعٍ ما أكثر من نسبة الرجال، لحروبٍ طحنت الرجال أو لغيرها من الأسباب ، فإنه لا يوجد حل لمشكلة ذلك المجتمع وحفظه من براثن الفساد والفتن سوى التعدد. وأقرب مثال على ذلك ما حصل في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية؛ حـيـث تـبـين مـن الإحصائيات الدقيقة أن النساء يشكلن 70% من مجموع السكان، ومعنى ذلك أن الرجال يـشـكلون 30% من السكان ، وبالتالي سيبقى45% من النساء بــدون زواج، فارتفعت بعض الأصوات هناك تطالب بإباحة التعدد حلاً لهذه المشكلة الخطيرة.

ومـثـال آخر: ظهر قريباً في إحدى دول الخليج التي خرجت فيها بعض الدراسات أثبتت أن نسبة النساء فيها أكثر من الرجال. وأوضحت تلك الدراسات والإحصائيات أنه مما زاد هذه المشكلة انتشاراً ظاهرة زواج المواطن من خارج وطنه بسبب غلاء المهور.

6- وأخيراً فإن الإسلام قد جاء والتعدد كان نظاماً اجتماعياً معروفاً عند العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، وكان بدون تحديد لعدد معين ، فجعله الإسلام لا يزيد على أربع زوجات واشترط العدل بينهن حفظاً لحقوق المرأة وكرامتها.

شبهة الطلاق:

وكما أباح الإسلام التعدد فقد أباح الطلاق أيضاً ، وجعله حلاً لمشاكل اجتماعية قد تحصل بين الزوجين لا يمكن حلها إلا بالطلاق. ومع ذلك اتخذ أعداء الإسلام من إباحة الإسلام للطلاق منطلقاً للتهجم عليه. وزعموا أن في ذلك إهانة لكرامة المرأة وسبباً في تشرد الأولاد. وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور:

1- أن الإسلام حينما أباح الطلاق بغَّض به ، وجعله الرسول أبغض الحلال إلى الله(4).
2- رغب الإسلام في الصلح بين الزوجين وإيجاد الحل لمشاكلهما قبل البتِّ في الطلاق. فقد يكون سبب النزاع عوامل خارجية عن حياة الزوجين الخاصة يمكن إيجاد حل لها وتستقيم الأمور ، يقول تعالى: ((فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إن يُرِيدَا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)) [والنساء:35] ، فإن انسدت أبواب الإصلاح ، ولم يكن التوفيق بينهما فالطلاق هو الحل الأخير ، وسيوفق الله الطريق الأصلح لكل واحد منهما ((وإن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ)) [النساء:30]. ومع ذلك ترك الإسلام للرجل والمرأة فرصة للتفكير؛ فشرع الطلاق الرجعي ليستطيع الرجل أن يراجع فيه امرأته بدون مهر أو عقد جديد إذا كانت لازالت في عدتها.
3- أن الإسلام حينما أباح الطلاق إنما وافق بذلك الفطرة السليمة بجعله حلاً لمشكلة اجتماعية قد تحصل بوجود خلاف وعدم التئام بين الزوجين ولا حل لهما إلا بالطلاق. ولنا أن نتصور كيف تكون الحال لو أن الطلاق ممنوع أو محرم ، إن الحياة بين هذين الزوجين ستكون جحيماً لا يطاق. ولهذا نجد في أوربا أن القوانين فيها أخذت تجيز الطلاق مع أن الكنيسة النصرانية بتعاليمها المحرفة لازالت تحظر الطلاق حتى مع ثبوت الخيانة الزوجية. وكانت فقط تحكم بالتفريق الجسدي بين الزوجين مما سبّب مشاكل اجتماعية خطيرة.
4- أما زعم أعداء الإسلام أن الطلاق سبب لتشرد الأولاد في البلاد الإسلامية ، فإن هذا غير صحيح ولا دليل له من الواقع. ذلك أن إحصائيات الطلاق في العالم الإسلامي أشارت إلى أن أكثره يقع في السنة الأولى من الزواج وقبل الإنجاب بسبب فشل اختيار أحدهما للآخر. وقد ورد في تلك الإحصائيات أن 77% من وقائع الطلاق تقع قبل إنجاب أي ولد ، وأن 17 % تقع بعد إنجاب طفل واحد(5). ثم تتدنى النسبة كلما كثر عدد الأولاد. وحينما يقع الطلاق مع وجود الأولاد كفل الإسلام الحياة الكريمة للأولاد - في رعاية أحد الأبوين - وأوجب النفقة على الأب ، بل أوجب الإسلام على الأب إعطاء الأم أجراً حتى على إرضاع ولدها. يقول تعالى: ((وإن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)).. ((وإن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)) [الطلاق:6].

مكانة المرأة وحقوقها:

وهكذا اتضح لنا أنه حتى في المسائل التي أثارها أعداء الإسلام زعماً منهم أن فيها إهانة للمرأة إنما في الحقيقة هي في مصلحة المرأة وحماية حقوقها.

وحينما نبحث عن نظرة الإسلام للمرأة وتكريمه لها في جوانب أخرى نجد أن الإسلام قد أعلى من شأنها وأعطاها مـن الحـقــوق مــا لم يعطه لها الغرب الأوربي المتمدن. فما بالك بالأمم الأخرى قبل الإسلام!!.
فلو نظرنا إلى الأمم الأخرى قبل مجيء الإسلام لرأيناها-في مجملها-تحط من مكانة المرأة ، وتحرمها أبسط حقوقها. فاليهودية المحرفة: تعتبر حواءْ ومن ثَم المرأة عموماً سبباً في شقاء الإنسانية لأنها أخرجت آدم - بزعمهم - من الجنة.
وجاءت النصرانية المحرفة: فـتـبـعت اليهودية في احتقارها للمرأة ، حتى أن المجتمعات الأوربية النصرانية- حتى نـهـايــة العصور الوسطى-كانت تشك في إنسانية المرأة هل هي إنسان أم لا ؟!.
وبلغ من ظلم بعض المجتمعات للمرأة أن أوجبت عليها إحراق نفسها إذا مات زوجها كما في البرهمية بالهند.
أما في المجتمع العربي قبل الإســـــلام: فقد وجدت عادة وأد البنات عند بعض القبائل العربية (أي: دفنهن وهن أحياء خوف العار) ، كما أن المرأة عندهم لا تَرث بل قد تورث كأي سلعة أو مال.
وجاء الإسلام ليعطي للمرأة حقوقها الكاملة ، ويكرمها ، ويرفع من مكانتها. ويتضح ذلك مما يلي:
1- أعلن المساواة الكاملة بين المرأة والرجل في الإنسانية والإيمان. يقول تعالى: ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ)) ، وقــولـــــه تـعـالـى: ((الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ والْقَانِتِينَ والْقَـانِـتَــاتِ والصَّادِقِينَ والصَّادِقَاتِ والصَّابِرِينَ والصَّابِرَاتِ والْخَاشِعِينَ والْخَاشِعَاتِ والْمُتَصَدِّقِينَ والْمُتَـصَـدِّقَــاتِ والصَّـــائِمِينَ والصَّائِمَاتِ والْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ والْحَافِظَاتِ والذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وأَجْراً عَظِيماً)).
2- رفع الإسلام الظلم الذي كان يقع على المرأة في الجاهلية؛ فحرّم وأد البنات ، وألغى نظام وراثتها كسائر السلع ، وأشركها في الميراث مع الرجل ، وإذا كان قــد جعل نصيبها من الميراث نصف ميراث الرجل فإن هذا لم يكن إلا تقديراً للواجبات والـتـكـــاليف المالية التي أوجبها الإسلام على الرجل من النفقة على الأولاد والزوجة والوالدين ومن يـعـولـهـم شـــرعــــاً. فلو مات ميت عن ابن وبنت مثلاً :فإن للإبن ثلثا المال وللبنت ثلث المال. لكن يــترتـب على الابن أن يدفع مهراً عند زواجه ونفقة على زوجته وأولاده ، بينما البنت: سيُدفع لها مهر ولا تجب عليها أي نفقة حتى على نفسها ، بل تكون النفقة على زوجها. وهكذا.
3- أعطى الإسلام للمرأة حقوقها الشخصية ، مثل:حق التصرف بمالها شراءً وبيعاً وهبةً دون أن يكون للرجل -حتى زوجها-سلطة على مالها أو أخذ شيء منه إلا برضاها. وهذا الحق لم تمنحه حتى القوانين الوضعية في البلاد الأوربية

التي تدعي التحضر والتمدن. ففي فــرنــســـا حتى عام 1939م: لا يسمح القانون هناك للمرأة بالتصرف بمالها إلا بإذن زوجها ، ثم عـــدِّل القانون بإعطاء المرأة شيئاً من الحرية في التصرف بمالها لكن مع بعض القيود أيضاً.
وفي ألمانيا الغربية: لم يعط القانون هناك للمرأة حق اقتناء الممتلكات حتى عام 1957م(6) ، بل إن نــظـــام العمل والأجور في أوربا وأمريكا لازال حتى الآن ينقص أجر المرأة المالي بالنسبة للرجل. فيصل في بريطانيا مثلاً إلى75% من أجر الرجل مع تساويهما في الوظيفة ونوع العمل(7).
4- الإسلام كفل للمرأة الحياة الكريمة في جميع مراحل حياتها بنتاً أو زوجةً أو أماً. فــالــبـنـت: لـهـا على والدها حق النفقة والرعاية التامة كأخواتها ،
والزوجة: لها على زوجها حق النفقة والرعاية والمعاملة بالمعروف قولاً وعملاً ، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي"(8).
أما الأم: فقد أعطى الإسلام لها حقوقاً كبيرة من التكريم والنفقة والعطف وخفض الجناح. يقول تعالى عن حق الوالدين: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)) [الإسراء:24]. بل حق الأم يفوق حق الأب بنسبة 3 : 1 ، فقد جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال:"يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال: أمك. قال: ثم من ؟ قال: أمك. قال: ثم من ؟ قال: أمك. قال: ثم من ؟ قال: أبوك".
وهكذا نرى أن الإســـلام يزيد من تكريم المرأة كلما كبرت وأصبحت بحاجة إلى الرعاية، بينما نرى في المجتمعات غير الإسلامية اهتماماً بالمرأة مادامت في جمالها وشبابها ، ثــم نسيانها بعد أن تتقدم بها السن. ولهذا تكثر في المجتمعات الأوربية العجائز اللاتي يسكن لوحدهن ، وكثيراً ما تمرض أو تموت دون علم أولادها بها قربوا في المسافة أم بعدوا؟.
5- ونـتـيـجــة لشدة عاطفة المرأة وتأثرها الشديد بالمواقف :جعل الإسلام شهادتها نصف شهادة الرجل: ((أَن تَضِلَّ إحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى)) [البقرة:282]. ويقول -صلى الله عليه وسلم- عن النساء:"... وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن. قالت امرأة: يا رسول الله ؛ وما نقصان العقل والدين؟؛ قال:أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل؛ فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي لا تصلي ، وتفطر في رمضان؛ فهذا نقصان الدين"(9).
6- وأخيراً ؛فإن الإسلام يجعل من رعاية الرجل لابنته أو أخته عبادة يؤجر عليها. يقول -صلى الله عليه وسلم-:"من ابتلي من البنات بشيء ، فــأحْــســن إليهن :كن له سِتراً من النار". وقال أيضاً :"من عال جاريتين حتى تــبــلــغـــا :جاء يوم القيامة أنا وهو ؛ وضم أصابعه"(10).

الهوامش:

1- رواه الجماعة. (والباءة): المهر. (وجاء): كاسر لحدة الشهوة.
2- رواه الترمذي.
3- انظر مثلاً كتاب النكاح في زاد المستقنع للحجاوي.
4- حديث. "أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، ليس صحيحاً . (التحرير).
5- عن كتاب علم الاجتماع ، تأليف د. عبد الكريم عثمان وآخرون ، ص 142 ، 145.
6- عن كتاب علم الاجتماع ، تأليف د. عبد الكريم عثمان وآخرون ، ص 143 ، 145.
7- عن مجلة البيان ، العدد الخامس ، ص 54.
8- رواه الترمذي ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير.
9- 10- رواه مسلم 4 / 27 0 2.

وكتب الأخ سعد بن حمود العرموش ، من الرياض - السعودية ، الرسالة التالية ، ننشرها لأهميتها.

أخي الفاضل مدير تحرير مجلة "البيان" المحترم.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد:
فقد اطلعت على بعض أعداد مجلتكم ، بل مجلـتـنـا الحبيبة "البيان" ، وقد سررت أعظم السرور عند قراءتها ، ولكن الطريقة التي تعرفت بها على المجلة كانت عن طريق الصدفة أو القدَر على الأصح.
فـقـد دخـلـت ذات يــوم مع زميل لي مكتبة قريبة مـن منزلنا ، فوجدت وعلى غير المعتاد أربعة أعداد من مجلة تحـمـل اسـم "الـبـيـان" كـانت مـوضوعة فوق طاولة المحاسب عند مدخل المكتبة ، ربما ليتعرف عليها كل من يدخل ، لا أدري. لم أعرها وزميلي أي اهتمام ، ربما لكثرة المجلات والصحف والنشرات التي تغص بـهـا جنبات كل مكتبة وليس فيها من المفيد إلا القليل. وأثناء الدفع أخذت أقلب صفحات أحد الأعداد ، قرأت صفحة العنوان ، أعجبني الاسم ، عرفت هوية المجلة ومصدرها ، وعرفت أن لها توجهاً إسلامياً ؛ فتساءلت يا ترى:
- هل هي مثل كل المجلات الإسلامية في وقتنا الحاضر -أو قــل :أغلـبـهـا- ذات مـيول مذهبية أو حزبية؟ وهل هي لسان لنظام من الأنظمة التي تكاد تكون أكثر من تابعيها؟.
- وهل تعتمد على مبدأ الثورية والحركية العمياء دون تأسيس أو تأصيل في النفوس ، ودون زرع لمبادئ الدين الحنيف في نفوس القراء ، ثم تعاهد هذا الزرع ورعايته؟.
- هل هي ذات هدف مادي بحت؛ فتعتمد على حشد الأوراق المسودة ببعض الحبر على شكل أسطر للقراءة ، دون نظر إلى المادة والمضمون؟.

- هل تشد القارئ وتغوص به في بحر مشكلاتنا المعاصرة ، أم أنها تركز على الجانب المعرفي فقط؟.
كل هذه التساؤلات خطرت ببالي خلال أقل من دقيقة ، فأخذت أبحث عن الجواب من خلال صفحات أحد الأعداد الموجودة أمامي. كانت الأعداد من الثاني إلى الخامس(أي :أربعة أعداد فقط) ، فوقعت يدي على العدد الثالث ، فتحت صفحة المحتوى فوقعت عيني على ما أثلج صدري:
- منهجُ المجلةِ منهجُ أهل السنة والجماعة ، والحمد لله. ونِعم المنهج هو. كيف لا وهو منهجٌ معِينه الذي لا ينضب: الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف.
-خطُّها في سبيل الدعوة :خطُّ السلف: ((ولْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْرِ)) الآية. ((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)).
-مبدأها في النقد:"الدين النصيحة ، قالوا: لمن يا رسول الله. قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".
-وفي التجريح: ((لا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاَّ مَن ظُلِمَ)).

إخواني القائمين على مجلة "البيان":

مجلتكم متميزة ، ونزيهة جداً ، ومحتواها ممتاز جداً ، ولكن لي بعض الملاحظات التي أحب أن أبديها ، وهي صغيرة جداً ولا تقلل من قيمة هذا الجهد الجبار الذي أخرج لنا هذه المجلة الفتية ، وربما تكون بعض هذه الملاحظات اقتراحات ، وأرجو أن تتقبلوها بصدرٍ رحب.
- الإخراج: إخراج المجلة يجب أن يكون أفضل مما هو عليه الآن ، فالأولى أن تشتمل المجلة على فواصل زخرفية وعلى عناوين كبيرة نسبياً.
- يلاحظ أن "البيان" لا تخاطب فئة معينة من المسلمين هم الفئة المثقفة ، أو قل :من هم فوق سن العشرين من الشباب الجادّين ، وأقول:"الجادّين" لأن هناك فئة ونوع من الشباب لا يقبل المواد جافة هكذا ، لابد من عنصر مشوق في المجلة يجذب إليها جميع فئات المجتمع المسلم. إذاً فلابد من وجود أبواب متميزة للمرأة المسلمة المستهدفة من جميع أعداء الإسلام. ولا تكون أبواب المرأة على غرار المجلات الأخرى أبواب ركيكة ورتيبة. بل تكون جامعة بين الجد والتشويق والتوجيه.
- وكذلك أرى أن توجِّه المجلة بعض صفحاتها لتوجيه الطفل المسلم ، جامعةً بين عناصر التشويق والبساطة المفيدة. كأن تعتمد على الأسلوب القصصي المباشر ، وغير ذلك من الأساليب التي لا نشك أنكم تعرفونها جيداً.
- لم تعرض المجلة من خلال القسم المتعلق بشؤون العالم الإسلامي ومشكلاته في أعدادها السابقة إلى أي إشارة أو تحليل أو خبر عن إخواننا المستضعفين في جمهوريات السوفييت الجنوبية المسلمة. ولا إخواننا المضطهدين في أوربا الشرقية [يوغسلافيا - المجر - بلغاريا...].

وهذان الجزءان العزيزان من وطننا الإسلامي يهمنا جداً معرفة أخبارهم وأحوالهم ومشكلاتهم ، ولكننا لم نتمكن من ذلك بسبب الهوة الإعلامية السحيقة التي تفصل بيننا وبينهم ، فإعلامنا المحلي مقاطعٌ لكل ما هو شرقي ، اللهم إلا بعض الأخبار القصيرة بين الفينة والفينة ، مما لا يفي بالغرض المطلوب.
لذلك نرجو من مجلتنا "البيان" متابعة أحوال أهل قبلتنا وإخواننا في هذه البقاع بخاصة ، وجميع بقاع الأرض عامة ، متابعةً دقيقة ومتواصلة. يقول قدوة أهل القبلة: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".
- كثير من كتاب "البيان" الأفاضل لا نعرف عنهم شيئاً سوى أسمائهم ، 00ونتعرف على شخصياتهم من خلال كتاباتهم فقط . حبذا لو وُضع تعريف موجز بكاتب كل مقال بجانب ذلك المقال ، ولا يستمر ذلك فترة طويلة ؛حتى نتعرف على كتَّابنا؛ وتتقارب قلوبنا أكثر وأكثر ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.
- تطول مدة انتظارنا للعدد الجديد. فحبذا لو قلصت الفترة بين العدد والذي يليه ، فلو كانت **"البيان"** أسبوعية ، فهذه أمنيّة ، ولو كانت نصف شهرية فهي منّا بالقبول حَرِيّة ، وإن أصبحت شهرية فسيطول شوقنا إلى مشُوقتنا. وإن لم يتأتّى شيء من ذلك فسنتحمل كونها تصدر كل شهرين ، وذلك تقديراً منا لظروف إخواننا القائمين على **"البيان"-** أعانهم الله-.
بعد قراءتي للأعداد الأربعة الماضية عزمت على الكتابة إليكم وطلب الاشتراك في هذه المجلة التي نحسبها- إن شاء الله- ستكون درّة المجلات الإسلامية. ولكني فوجئت بعدم تحديد رسوم الاشتراك ، وعلمت من خلال ردود بريد القراء (العدد الرابع) أن هناك مشكلة في عملية الشحن ومع الموزعين ، أرجو من الله أن يساعدكم على تخطي هذه العقبات.
كما فوجئت باختلاف سعر النسخة من عدد إلى عدد ، و هذا ما لم نعهده في أي مجلة ، أرجو أيضاً أن يتم تلافي ذلك مستقبلاً- إن شاء الله-.
وختاماً أرجو أن تتقبلوا هذه الملاحظات الصغيرة بصدر واسع رحب ، وكما قدمت فهذه الملاحظات لا تقلل أبداً من قيمة جهدكم الكبير بل هي من باب التناصح وإهداء العيوب. وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير ، وسدَّد على طريق الحق خطاكم ، إنه سميع مجيب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم / سعد بن حمود بن سعد العرموش

المجلة

ملحوظاتك يا أخ سعد موضع اهتمام المجلة.. ومخاطبة الناشئة والمرأة ندرسه بعناية من قبل صدور العدد الأول من **"البيان"** ، وتحديد قيمة الاشتراك تجده في موضع آخر من هذا العدد.. والقائمون يحرصون أشد الحرص على أن تكون المجلة شهرية ، ولعلنا نوفق إلى تحقيق هذه الرغبة

قريباً إن شاء الله. أما الإخراج فنظن أن فيه بعض التحسن الذي يتناسب مع موضوع هذه المجلة وأهدافها.. ونرجو أن تتحفنا دوماً برسائلك القيمة ، وفقنا الله وإياك لكل خير.

ومن الأخ الفاضل أبي بلال - صنعاء -وردتنا الرسالة التالية:

الأخوة الأفاضل: أسرة تحرير البيان المكرمون.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد:

فـأحـب أن أوجــه إلـيـكـم جزيل الشكر ، وخالص الحب والود ، لما تبذلونه من جهد في تحرير "البيان" ، وفـي التحسين المستمر الذي نلمسه عدداً بعد عدد ، وقد سرني أن أرى التوجه الجاد لإخراج "البيان" إلى القراء المسلمين ، باعتبارها مجلة كل مسلم يعتز بالسنة و يسعى للجماعة ، وباعـتـبـارها مجلة لتبصير كل مسلم ، من أهل السنة ، ومن غيرهم ، ولدعوة كل مسلم يحب السنة إلـى نـهـج السنة ، وسلوك طريق الإصلاح والتأليف ، دون إثارة الضغائن ، أو تحريك الكوامن. ودون أن تخـص باهـتـمـامهـا طائفة من المسلمين دون غيرهم ، أو تكون لساناً لبعضهم ، بل هي لسان الحق الذي ينتسـب إليه المسلمون كلهم ، إليه تدعو ، ومعه تدور حيث دار.

ومما أحب تذكير الاخوة أسرة تحرير "البيان" به:

1 -الاهتمام بدعوة كل مسلم إلى منهج السنة والجماعة ، ومخاطـبـة قـلـوب الـمـسـلـمـيـن وعقولهم بكلمة الحق ، وبيانه لهم ، وتعريفهم به عن كثب.

2 -تشجيع الأبحاث والمقالات التي تهتم بترجمة المبادئ والأصول ، وتحويلها إلى برامج عملية قابلة للتجسيد الواقـعي و الحركة الفعلية ، وذلك كخطوة أولية للخروج من دائــرة الـطـرح الـنـظـري أو الجـدلـي في كثير من الأحيان ، ومن أجل الإسهام في تأصيل الحركة الإسلامية ودفعها وترشيدها.

3 -الاهتمام بإيجاد مـنظـور منهجي متكامل للحركة الإسلامية عموماً ، يقوم على العقيدة الصحيحة ، وينطلق من الأصول التشريعية ، والخصائص الحضارية للإسلام.

4 -العمل على استيعاب كـافـة الاهتمامات والميول المشروعة لدى مختلف النوعيات التي تريد المجلة إسماعها صوتها ، والتحاور والتخاطب معها.

5 -إحياء الوعي لدى جمهور الـمـسـلمين ، والتأكيد على ارتباط النتيجة بالسبب ارتباطاً سننياً ثابتاً. وأن مسألة نهوض الأمة ليست مرتبطة بالانتماءات أو الأماني ، بل ترجع إلى حسن الفهم وجدية العمل.

ثم أسأل الله لي وللمسلمين ، أن يـبـصـرنا ويـؤتـيـنـا رشدنا ، وأن يثبت أقدامنا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المجلة

جزى الله الأخ أبا بلال كل خير على نصائحه القيمة وعواطفه الطيبة نحو المجلة.. ومعذرة على ما حذفنا من رسالته لأننا لا نريد الردود وما تجر من سلبيات.. ومع ذلك فنحن نقدر للأخ بُعد نظرته.. ونرجو أن لا يبخل على المجلة بقلمه الطيب ؛فهو من أصحابها ، ونود أن يلاحظ أهداف المجلة في كل ما يكتب ، والله الموفق.

ستشرق الشمس

شعر: علي محمد

كان الولاء لديني في رُبا بلدي … فعاد حقاً لأهل الحي والبلد
لو تصبح النفس طوع الوحي في أدب … تأبى الميوعة في دين ومعتقد
ويسلك العقل منهاجاً له أطر … من التثبت لم يجنح ولم يحد
بعد التحرر من أوهام فلسفة … أو منطق لبني اليونان معتمد
أو هرطقات لأوباش هنادكة … قالوا بوحدة رب الخلق والجمد
أو من تعصب بدعيٌ لبدعته … يظن خيراً بقطب الغوث والوتد
قد يأذن الله في تفريج كربتنا … ويبصر الدرب من يشكو من الرمد
قل لي بربك ما تركيب أدمغة … تعطي العبيد مقام الواحد الأحد
من يعصب العين لا تحمد عواقبه … وحاطب الليل لا يجني سوى الزبد
وسالك الدرب إن يدرك معالمه … إدراك مجتهد فذٍ ومتئد
ويتق الله في الأسباب كاملة … وفق النواميس لم يضعف ولم يحد
سيدرك النصر إن يأذن به صمد … بعد امتحان بخير المال والولد
ودولة الظلم لن تبقى إلى أمد … وهل تدوم وما دامت إلى أحد
ستشرق الشمس لا تجزع لغيبتها … ويبزغ الفجر فوق السهل والنجد
وترجع القدس تزهو في مآذنها … وعد الإله الكريم المنعم الصمد

في الصومال... مجاعة

الجارديان 10 / 7 / 1987م

ذكرت وكالات الغوث العالمية أن (200) ألف شخص في مناطق وسط الصومال باتوا في حاجة ملحة إلى مواد غذائية ، حيث بلغ معدل الوفيات بين الأطفال في بعض القرى (15) طفلاً في اليوم الواحد.
وكانت أمطار غزيرة في أعقاب عامين من الجفاف قد أهلكت الكثير من الإبل والماعز والدواجن.
والمراسلون الصحفيون يحذرون من أن يتحول الصومال إلى أثيوبيا ثانية ، فالموت يحصد الألوف ، والأحياء يعيشون حالة حرمان شديدة بسبب هلاك

المواشي ، وازداد الأمر سوءاً بعد هطول الأمطار الغزيرة التي تسببت في تفشي الأوبئة التي تنتقل بواسطة المياه.

أدب وتاريخ

قصيدة وموقف

لخبيب بن عدي "رضي الله عنه"

المناسبة والشاعر (1):

خبيب بن عدي: صحابي جليل من الأوس ، وقارئ داعية إلى دينه ، كان في البعثة التي أرسلها الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى نجد ، حيث قدم على رسول الله بعد أُحد رهط من (عُضَل والقارة) وقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاما؛فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا في الدين ، ويُقرؤوننا القرآن ، ويُعلموننا شرائع الإسلام.. فبعث رسول الله نفراً ، منهم: خبيب وزيد بن الدثنة وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح .. حتى إذا كانوا على الرجيع - ماء لهذيل بين عسفان ومكة - استصرخوا عليهم هذيلاً وغدروا بالصحابة، فمنهم قتيل وأسير.

أُسر خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة ، وقدم المشركون بهما مكة ، (قال ابن هشام): فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة... حيث إن خبيباً كان قد قتل في بدر الحارث بن عامر من أهل مكة.. فقتلته قريش ثأراً لصاحبهم ، وتشفيّاً بعباد الله المؤمنين.

سُجن الصحابي الجليل انتظاراً لتنفيذ الجريمة البشعة فيه ، حيث خرجت به قريش إلى التنعيم (خارج حدود الحرم) ، وصلّى ركعتين خفيفتين، واجتمع الرجال والنساء والأطفال يحضرون مصرع الصحابي الجليل وصلبه ، وعندما رفع إلى خشبته وأوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً.

وفي هذا الموقف العصيب قال هذه القصيدة:

1- لقد جمّع الأحزاب حولي وألّبوا قبائلهم واستجمعوا كل مَجمعِ
2- وكلُّهم مُبدي العداوةِ جاهدٌ عليّ لأني في وَثاقي بمضيع
3- وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم وقُربت من جذع طويل مُمنّع
4- إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصدَ الأحزابُ لي عند مَصرعَي
5- فذا العرشِ صبّرني على ما يُراد بي فقد بضّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
6- وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصالِ شلْو ممزّع

7- وقد خيروني الكـفـرَ،والمـوت دونــه وقـد هـمـلـت عيـناي من غير مجزع
8- ومـا بـي حِـذارُ المـوت ، إني لمـيّـتٌ ولـكـن حـذاري جـحـم نــار مُـلـفـعِ
9- فـلـسـت أبـالـي حين أقتل مسلـمــاً على أيّ جـنـبٍ كان في الله مصرعي
10- ولـسـت بمـبـدٍ للـعـدو تخـشّـعـــاً ولا جـزِعـاً ، إنّي إلـى الله مَـرجـعـي

المفردات الغريبة:

5-باس: أصلها يئس ، فخففت.
6-أوصال: أعضاء مقطعة. شلو: ضعيف.
8 - جَحْم: الملتهب. الملفع: المضطرم. جحم نار ملفع: في "الاستيعاب": حر نار تلفع.
9 - وفي رواية: (مضجعى) بدل مصرعي.

في جوّ الأبيات:

1- إن الصحابي الجليل يصور غربته وسط جوّ جاهلي حاقد، فقد تجمع المشركون حوله، يُبدون العداوة ، يشتفون بإراقة دم المسلم الطاهر النقي ، ولا ذنب له إلا أن يعلن إسلامه صادقاً ، جمعوا الأبناء والنساء ، وقد قربوه من جذع ليصلبوه عليه ، عرضوا عليه الكفر ففضّل الموت: "وقد خيروني الكفر والموت دونه".
وهكذا المشركون في كل عصر ، و الطواغيت في كل حين ، مطلبهم واحد من المؤمنين :أن يتركوا دينهم ، وإلا فهم متزمتون ، متطرفون ، رجعيون ، أعداء الوطن.
2- و ها هو مسلم اليوم يعيش في غربته القاتلة ، ولكن طوبى للغرباء ، فالصحابي يشكو غربته وكربته وما أرصد له الأحزاب عند مصرعه..
ويدور الزمن دورته وإذا بالمؤمنين يفرون بدينهم في فجاج الأرض ، وهم يحسون الغربة والكربة ، يلاحقون ويضطهدون ، ويضيَّق عليهم في كل أرض... يَقبضون على الجمر ماداموا يتمسكون بعقيدتهم ، ولا يساومون عليها.
3- إن والي حمص - سعيد بن عامر الجمحي -رضي الله عنه-أيام أمير المؤمنين عمر -رضى الله عنه- كان ممن حضر مصرع خبيب ودعوته في الجاهلية ، يقول سعيد بن عامر. "فوالله ما خطرت على قلبي دعوة خبيب وأنا في مجلس قط إلا غشي عليّ".
كم من المسلمين اليوم من يُرفع على أعواد المشانق، وكم من المؤمنين من يُقتلون بالعشرات، والجرافات تواريهم في قبور جماعية. وقد يكون من بينهم بعض الأحياء! وكم من ليال لجيران أقبية التعذيب لا تدع لأصحابها فرصة للنوم ، من أنين المعذبين المضطهدين ؟!.

ومسلمو العصر الحديث لا يحركون ساكناً ، وأحفاد سعيد بن عامر-رضي الله عنه-لا يرف لهم جفن عندما يسمعون بهذه المآسي.. بَلْهَ الغيبوبة التي كانت تصيب الصحابي الجليل الوالي الورع..
أين كلمات الحق التي تقال ؟ أين الإنصاف ، ولا ذنب لهؤلاء إلا أن قالوا: ربنا الله؟!.
إن منطق الجاهلية الحديثة ، جاهلية القرن العشرين يقول: إن هؤلاء وأمثالهم مشاكسون متطرفون ، يجب أن يخضعوا ويتركوا إثارة القلاقل ، وإعلان دعوة التوحيد؛ لأن الدين قضية شخصية لا تحتاج إلى كل هذا ؟!. وقديماً قال المنافقون في شهداء الرجيع مثل هذا القول. يقول ابن إسحاق عن ابن عباس -رضي الله عنهما-(2): لما أصيبت السرية - في الرجيع - قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفترين الذين هلكوا ، لا هُم قعدوا في أهليهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، فأنزل تعالى قوله: ((ومِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وهُوَ الله الخِصَامِ)) [البقرة: 204].
4- إن الصحابي البدري القارئ ، إنسان يشعر بكيد الجاهلية ، وتذرف عيناه الدمع من غير جزع، فما هو بخائف من الموت، فالموت حق ، ولو لم يمت بحد السيف مات بغيره، ولكنه يخشى ألا يكون قد قام بحق الدعوة ، وحق الإسلام ، إنه يخشى مَسَّ النار الملتهبة..
إن الذي يموت على الإسلام ، لا يبالي على أي جنب كان في الله مصرعه ما دام في سبيل الله.
ولن يبدي للعدو جزعاً ولا تردداً، ولا تراجعاً، فنفس المؤمن عزيزة ، فهو صاحب دعوة، أدى رسالة رسول الله "اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا" ، "اللهم اقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً".
5- إن خبيباً مثال التضحية والفداء في السراء والضراء ، وأين منه أدعياء البطولة - في أيامنا الحاضرة - وقت الرخاء ومواتاة الظروف؟! ، وإذا ما تنكرت لهم الأيام انقلبوا خائبين إلى أحضان أعدائهم ولو كانوا من المشركين!.
إن العقيدة الصلبة ، والتربية الإيمانية ، هي التي تفرق بين أجيالنا وجيل الذروة ، جيل القمة السابقة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
واستمع إلى قول زيد بن الدثنة-رضي الله عنه-عندما قدم ليقتل في التنعيم أيضاً:
قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال: "لا والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي".
قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ، ثم قُتل- رحمه الله- (3).

هكذا تكون التربية العقدية ، ولا مخلَص لنا مما نحن فيه إلا بالعودة إلى هذه التربية القرآنية الإيمانية الخالصة لوجهه تعالى.. بعيدة عن كل شائبة.

6- لابد من التربية الصلبة التي رُبِّي عليها أصحاب رسول الله؛ حتى يستطيع المسلمون اليوم أن يَثبتوا للجاهلية الجديدة والغربة الثانية.

فالملأ من قريش الذين أعدموا الصحابة في التنعيم موجودون في معظم أنحاء العالم الإسلامي ولو تغيرت اللافتات والأسماء ، هنالك قريش وهذيل وبقية المشركين في جزيرة العرب ، وهنا: الشيوعية ، والأحزاب العلمانية ، والباطنية ، والطواغيت التي ترفض تحكيم شرع الله..

7- وأخيراً أختم هذه الخواطر (من وحي القصيدة) بأبيات لشاعر الدعوة الإسلامية حسان بن ثابت -رضي الله عنه-يرثي فيها خبيب بن عدي -رضي الله عنه-عندما قتل صبراً بمكة(4):

1-ما بال عينك لا ترقا مـدامـعـهـا شحّاً على الصدر،مثلَ اللؤلؤ الفَلَقِ
2- على خبيبٍ،وفي الرحمن مصرعُه لا فـشـل حـيـن تـلـقـاه ولا نـزقَ
3-فاذهب خبـيبُ،جزاك الله طيـبةٌ وجـنـة الخـلد عند الحـور في الرُّفَق
4-ماذا تقـولون إن قال النبيُّ لـكـم حـيـن الـمـلائكة الأبـرارُ في الأفق
5-فـيـما قـتـلتم شهيدَ الله في رجـلٍ طـاغٍ قد أوعـث في البلدان والطرق

هكذا كانت عين حسان -رضي الله عنه-- وأمثاله من المؤمنين - لا ترقأ مدامعها ، تنهمر غزيرة على خداع الجاهلية وضلالات الشرك التي أودت بأهل الرجيع ، سرية القراء والدعوة إلى الله.. وهكذا يكون التعاطف بين المؤمنين ، ويكون الرثاء في معاني جديدة ، معاني الإسلام ؛ "الجنة ، والملائكة ، والشهادة".

الهوامش:

1- الإصابة 1/ 418 ، الاستيعاب 1 / 430 ، وابن هشام 2 /170-177.
2- السيرة النبوية: ابن هشام 2 /174.
3- سيرة ابن هشام: 2 /172.
4- ديوان حسان: ص 168.

الغريب: - اللؤلؤ الفلق: شبه انتشار الدمع بانتثار اللؤلؤ المتفلق. لا ترقأ: لا تجف.
- في البيت الرابع: يقصد يومَ القيامة.
- أوعث. أفسد "ويشير إلى: الحارث بن عامر الذي قتله خبيب يوم بدر".

لابد من التحقيق.. ولكن..

منصور الأحمد

-1-

من المـتـفــق عليه بين الباحثين أن علم الحديث بمنهجيته وأصوله وتطبيقاته ؛ من مزايـا الأمة الإسلامية ، ومما تفردت به دون الأمم كلها ، وأنه علم من مبدئه إلى منتهاه إسلامي الانبثاق والنشأة والكمال.

وهو باختصار شديد علم يـهـدف إلـى توثيق النصوص المنقولة ، والتمييز بين ما يصلح أن يكون أصلاً ومستنداً للحكم الشرعي وما لا يصلح لذلك.

وليس المقام مقام استرسال في بيان حدود هذا العلم ، والخوض في مسائله الواسعة ؛ وإنما هناك حاجة إلى التنبيه إلى بعض القضايا نراها جديرة بالاهتمام وتستحق من القارئ الكريم التفاتة ونظرة فيها شيء من التأمل.

-2-

لقد مر علم الحديث بفترات مختلفة ، فنجد أن العصر الذهبي لهذا العلم قد شغل القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، حيث نشط العلماء في الرحلة والتدوين، وحفظت السنة النبوية في دواوينها المعتمدة ، وعكف العلماء وطلبة العلم عليها مقابلة وتمحيصاً وفهماً.

والفترة الثانية كانت فترة توسع وانبساط واشتغال بكثرة الطرق ، وحرص على النادر من طرق الرواية ، وإن كان كل ذلك لم يؤد إلا إلى أقل القليل من الإضافة إلى ما هو معروف من النصوص المعروفة والمشهورة والتي عليها مدار الاستنباط.

وخلال هذه الفترة لاحظنا شيئاً من الخلل حصل نتيجة التباعد بمن علمي الحديث والفقه ففي الفترة الأولى كان غالب الفقهاء محدثين ، وغالب المحدثين فقهاء ، وهذا هو الشيء الطبيعي لإنتاج ثقافة أصيلة نافعة ، ولكن في الفترة الثانية حصل شيء من التباعد بين هذين الاختصاصين اللذين لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فأصبحنا نرى مؤلفين في الفقه لا علم لهم بالحديث ، ومؤلفين في الحديث لا علم لهم بالفقه إلا في القليل النادر.

ولكن من حسن حظ علم الحديث أن هيئ له في آخر هذه الفترة عالم فذّ ، كان محدثاً وفقيها هو العلامة الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله ، والذي ألف كتابه "فتح الباري" فكان خدمة عظيمة للفقه القائم على الحديث ، ولدراسة الحديث القائمة على الفقه الواسع والبصر به رواية ودراية.

وهناك فئة ثالثه نشأت في هذه الفترة، واســتـمــر تـأثيرها السلبي في الثقافة الإسلامية إلى عـــصــر نـهـــضة المسلمين في هذا القرن، وهذه الفئة حشدت في مؤلفاتها روايات باطـلــة وضعيفة، وسودت صفحاتها بما هب ودب من الأخبار والآثار، دون تمحيص وتــدقــيــق، وســــرت هذه الأخبار والروايات كمسلمات عند كثير من المسلمين فيما بعد فكان لها أثرها السيء الـــذي أوقعهم في دوامة من التبريرات والردود ، وشغلهم في الدفاع عن أباطيلهم في أغلب الأحيان.

والناظر في كــثـير مــن كــتــب التفسير والفقه والوعظ سيجد أمثلة كثيرة من الإسرائيليات والأحاديث المنكرة ، وكــثـــيراً مما لا يصلح أن يحتج به على الإسلام ، أو يعاب بسببه. ويحمل وزر ذلك المؤلفون البـعـيــدون عن التحقيق ، والذين أطلق عليهم لقب العلم ، بينما أصدق لقب يمكن أن يطلق عليهم هو لقب: "حاطب الليل".
وفي هذا العصر شعر كثير من المسلمين بواجب التحقيق العلمي للتراث العربي والإسلامي ، ونتج عن ذلك جهود مشكورة تصلح أن تكون مثالاً يحتذى.

-3-

وإذا كان هناك شيء من النقد ؛ فإن كثيراً من الأمور المستحسنة والمطلوبة قد يتعاطاها من لا يحسنها ، أن من ينحرف بها عن هدفها المنشود ، ويسير بها إلى وجهة أخرى قد لا تكون لها علاقة بالعلم وحدوده ، أو التحقيق ومجالاته.
وهناك أمثلة على ظواهر شائعة لابد من التنبيه عليها:
فهذا مؤلف يؤلف رسالة أو كتاباً في موضوع ما ، ويريد أن يظهر بمظهر العالم النحرير ، فيوهمك - بكثرة هوامشه وإحــالاتـــه - أنه قد اطلع على كل ما ذكر في هذه الهوامش ، وبنظرة بسيطة جداً تكتشف أن هذه المــراجع التي أشار إليها ليست إلا ما نقله من مؤلف آخر في هذه المسألة!.
"وهذا آخر يبحث في قضية يريد أن يستشهد عليها بحديثه، فتخدعه نفسه، فيلبس لباس كبار المحدثين ، فيعمد إلى فهارس كتب الحديث فيجمع كل ما ورد من طرق وروايات ، وكل ما قيل حول ذلك من دقائق علم الحديث ؛ مما قد لا يكون له كبير مساس بالموضوع الذي يبحث فيه ، ويكفيه في هذا الصدد أن يكون الحديث صحيحاً في ذاته ، ولو ورد في مرجع واحد ، ولكنه التكلف الذي يخرج البحث عن المقصود ، ويضيع وقت الباحث والقراء فيما لا يعود عليهم بفائدة جديدة.
وهذا ثالث يكتب مقالة قصيرة ، إذا ما قارنتها بما تحتها من حواشٍ لرأيت العجب ، ولكادت تلك الحواشي تعادل نص المقالة!.
وليس الاعتراض على أمثال تلك الحالات استهانة بالتحقيق والتوثيق ، ولا بجهود بعض المحققين الذين يبذلون جهوداً مشكورة في تمييز الصحيح من غيره ، والذين كرسوا جهودهم لذلك ، وأنتجوا نتائج طيبة ؛ ولكن اللوم يتجه إلى أولئك النفر الذين لا يفهمون مــدلـــــولات الكلام ولا مصطلحات المحدثين، وليس عندهم الحصيلة الكافية من الفقه بالنصوص، وبالفائدة المرجوة من التخريج، ومع ذلك يستسهلون الصعب ، ويتقحمون فيما لا يحسنون ويتجرءون على الخوض في أمور أولى بهم أن يتركوها لمن يحسنها.
إننا بحاجة إلى التركيز في بحوثنا ، والبعد عما لا فائدة منه من التكرار وزيادة البسط والشرح في أمور قد بحثت ، والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون إلى استخلاص النافع الذي لابد منه لكل نهضة ، والقادر على الثبات أمام الأفكار

الوافدة التي تكاد تعصف بالأمة في غيبة المنهجية في البحث ، ولابد من البعد عن إثارة القضايا الجانبية التي تستهلك الجهود ولا تؤدي إلى كبير نفع ، والأمور التي يحتاج إليها المسلمون من السعة والكثرة بالقدر الذي يحتم عليهم التخصص وفرز العناصر والبعد عن "الموسوعية" وادعاء العلم بكل شيء ، وليس عيباً اليوم أن تعرف جانباً من العلم وتتقنه وتحسن التحرك من خلاله ؛ وأن تجيب عن جوانب أخرى أو علوم أخرى بـ "لا أدري" ؛ ولكن العيب كل العيب ، أن تدعي معرفة كل شيء وتخوض في كل اتجاه خوضاً سطحياً لا يؤدي إلى شيء ، وبهذا تجمد الأفكار ، وتقبر الثقافة.

وذكرهم بأيام الله...
محطم الأصنام

اختيار: محمد العبدة

جاء في "البداية والنهاية" لابـن كـثير في حوادث سنة 418 هـ ، وفي "الكامل" لابن الأثير في حوادث 416 هـ عن فتوحات الـسلطان محمود بن سبكتكين (محمود الغزنوي) في الهند ما يلي:

"وفي هذه السنة ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بـ (سومنات)، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق وتزعم الهنود أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه، على مذهب التناسخ، وكانوا يحملون إليه كل عِلق نفيس ، ويعطون سدنته كل مال جزيل ، ويحمل إليه الماء من نـهـر (الغانج) ما يغسل به ، ويكون عنده من البرهميين كل يوم ألف رجل لعبادته ، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس زواره".

وكان السلطان محمود كلما فتح من الهند فتحاً وكسر صنماً يقول الهنود: إن هذه الأصنام قد سخط عليها (سومنات)، ولو أنه راضٍ عنها لأهلك من تقصدها بسوء، فلما بلغ ذلك السلطان عزم على غزوه وإهلاكه ظناً منه أن الهنود إذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم دخلوا في الإسلام ، فاستخار الله تعالى ، وسار من غزنة عاشر شعبان من هذه السنة في ثلاثين ألف فارس سوى المتطوعة ، وسلك سبيل (الملتان) ، وفى طريقه إلى الهند بريّة قفر ، لا ساكن فيها ولا ماء ، فتجهز هو وعسكره على قدرها ، ثم زاد بعد الحاجـة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة ، فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصوناً مشـحـونــة بالرجال ، فيسر الله تعالى فتحها ، ثم سار إلى سومنات فلقي في طريقه عدة حصون فيـهـا كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ما سول لهم الشيطان ، فـقـاتـل من فيها وفتحها وضربها وكسر أصنامها ، ثم سار إلى سومنات فوصلها يوم الخميس منـتـصف ذي

القعدة ، فرأى حصناً حصيناً مبنياً على ساحل البحر ، فلما كان الغد وهو الجـمـعــة زحف وقاتل من به ، فرأى الهنود من المسلمين قتالاً لم يعهدوا مثله ، وقاتل الهنود على باب الصنم أشد القتال ، وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخلون إلى سومنات فـيـعـتـنـقـونه ويبكون ويخرجون فيقاتلون إلى أن يُقتلوا ، حتى كاد الفناء يستوعبهم ، فدخلوا البحر إلى مركَبين لهم لينجوا فيهما ، فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضاً وغرق بعضٌ ، وأخذ الـسـلـطـان الصنم سومنات وكسر وأحرق بعضه.

وكان الهنود قد بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم ، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم، فـــقـــال: حـتـى أستخير الله -عز وجل- ، فلما أصبح قال: إني فكرت في الأمر الذي ذكر؛ فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة:" أين محمود الذي كسر الصنم" ، أحب إلى من أن يقال:" الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا". ثم عزم فكسره؛ فوجد عليه من الجواهر واللآلئ والذهب ما ينيف على ما بذلوه ، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل. فرحمه الله وأكرم مثواه.

من أخبار المجاهدين الأفغان

احتدمت المعارك بين إخــواننا المجاهدين الأفغان والعدو الشيوعي في 29 رمضان الماضي.. وشملت هذه المعارك منطقة [جـاجـي] ولاية بكتيا ، ومنطقة [جلال آباد] ولاية ننكرهار.

وكان العدو الشيوعي قد رمى بثقله فـي الـمعركة لأن قوافل إمدادات المجاهدين تنطلق من هاتين المنطقتين ، وأهم فترة يتم فيها الإرسال في فصل الصيف..

وبدأت المعركة بقصف مدفعي ثقيل وجوي عنيف تبعه إنزال قوات (كوماندوس) مع تقدم أرضي ، وتمكن العدو في البداية من احـتــلال بـعـض الـمـواقـع في [جاجي] ، واستمات المجاهدون في مقاومة البلاشفة ، ومعظمهم كانوا من الاتحاد- الـسـيــاف- ، واسـتـمـرت المعركة حتى غاية 20 شوال الماضي حيث انسحب العدو يجر أذيال الخيبة والهزيمة ..

وكان المجاهدون يقاتلون بأسلحة عادية ، ورغم قلة الزاد والعتاد فلقد أيدهم الله- جلّ وعلا- بنصره.

أما معركة [ننكرهار] ، فقد استمرت خمسة أيام ، وشارك فيها: الاتحاد - السياف- ، والحزب الإسلامي - حكمتيار- ، والجمعية - رباني - ، وجماعة يونس خالص.. وهكذا تجلت وحدة فصائل المقاومة في هذه المعركة بشكل جيد؛ والحمد لله.

وكانت الإصابات التي ألحقها المجاهدون بالشيوعيين تزيد على [1500] ، بين قتيل وجريح ، وأسروا أكثر من [50] من جنود العدو ، وأسقطوا عدداً من طائرات السوفييت.. وكان من نتائج هذه المعارك سيطرة المجاهدين على بعض النقاط من [بشاور] إلى المناطق الشرقية في أفغانستان.. وهذه نقاط إضافية ، في حين أراد العدو السيطرة على قوافل إمدادات المجاهدين في جاجي وننكرهار. ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ)).
هذا ما علمناه عن المعارك الأخيرة ، أما الصحف وأجهزة الإعلام الغربية :فقد راحت تتحدث عن الدعم الأمريكي للمجاهدين الأفغان ، وعن صواريخ (ستنجر) وأنها سبب هذا الانتصار [ولمن شاء أن يقرأ :ما كتبته صحيفة "الهيرالدتربيون" الأمريكية تاريخ 7 / 7 /1987 ، نقلاً عن الواشنطن بوست].
والذي نعلمه علم اليقين أن مثل هذه الصواريخ لم يكن لها وجود في هذه المعارك ، بل قد كانت الأسلحة التي استخدمها المجاهدون عادية جداً ، ومن جهة أخرى فإن صواريخ [ستنجر] وغيرها من الأسلحة التي تعمل على الرادار والكمبيوتر وما شابه ذلك تكون ناجحة في بدء استخدامها ، وهذا النجاح يمكن أن يستمر من أسبوع إلى بضعة أسابيع.. وخلال هذه الفترة الزمنية يكتشف العدو ميزات السلاح وخصائصه ويكتشف ما يبطل مفعوله ، والذين يملكون صاروخ [ستنجر] صاروا يطلقون الصاروخ حتى يكاد يلامس الطائرة ثم ينحرف عنها بسبب [التشويش] ، الذي ينبعث من الطائرة نفسها أو من طائرات [تشويش] تعمل في سماء المعركة ، وهذا ما حصل لصواريخ سام (6) بعد سبعة أيام من بداية حرب تشرين عام 1973 م.
فليحذر القارئ الكريم من الصحف وأجهزة الإعلام الغربية ، وليحذر أيضاً من الصحف العربية التي تنقل عنها دون تثبت أو تمحيص ، وليعلم أن جند الإسلام هم الذين انتصروا في هذه المعارك وغيرها من المعارك الأخرى ، وقد نصرهم الله -جل وعلا -بفضله ثم بصدقهم وطلبهم الشهادة في سبيل الله.
وبعد هذه المعارك الطاحنة استدعى السوفييت عميلهم [عدو الله] ، الذي أسماه أبوه نجيب الله ، وبحث مع سيده [جورباتشوف] إمكانية التوصل إلى تسوية للحرب الأفغانية التي ازدادت حدتها في الأشهر الأخيرة.
وأكد عدو الله مجدداً أنه على استعداد للتفاوض مع كل الفئات التي تريد المصالحة ، وقال: إنه على استعداد للاتصال بمؤيدي الملك ظاهر شاه الذي يقيم في المنفى.
ورغم أن نجيب الله كان قد أعلن من جانبه وقفاً لإطلاق النار قبل ستة أشهر ؛ فإن ناطقاً بلسان الخارجية السوفييتية اعترف في الأسبوع الماضي بأن الإصابات بين الجنود السوفييت وجيش كابول ارتفعت خلال الآونة الأخيرة إثر تصعيد المجاهدين الأفغان هجماتهم ضد الشيوعيين. [انظر صحيفة ذي إنديبندانت] ترجمة الصحف العربية 22/7/1987.

ورفض أعوان ظاهر شاه خدعة عدو الله الجديدة ، وأعلنوا أنهم لن يقبلوا المشاركة في السلطة مع النظام الشيوعي [ومن بينهم مجددي وجيلاني] لأنهم يعرفون بأن الشعب لن يسامحهم على اتخاذ مثل هذا الموقف ، ولبعض أعوان الشاه تجربة سابقة مع الشيوعيين ، ويعرفون غدرهم ومكرهم وأنهم ينقلبون ضد أقرب الناس إليهم.. ومن جهة أخرى: فلا تزال أمريكا غير مطمئنة إلى موقف السوفييت من القضية الأفغانية.

أما إخواننا قادة المجاهدين الذين يحترمهم الأفغان ويثقون بهم: فمواقفهم ثابتة والحمد لله ، فالأخ الشيخ عبد رب الرسول السياف يرفض الحديث عن الحلول السياسية ويقول لمن يسأله: نحن تركنا الكلام عن هذه الحلول لأصحابها ، ويكفينا الحديث عن الجبهات.

وقال أيضاً في رده على مبادرات الشيوعيين الجديدة: ليس من حق الأجانب إعداد وثائق الأمة الأفغانية ، ولن يقبل الشعب بأقل من إقامة دولة إسلامية في بلده.

وقال الأخ الأستاذ حكمتيار

في مقابلة له مع الإذاعة البريطانية عن مفاوضات [كاردويز]:

أولاً: أنا أرى أنها ضياع للوقت ، **والثاني**: غير عادلة ، **والثالث:** أن المفاوضات غير مفيدة ، **والرابع:** أنها ليست بين طرفين أصليـين ، **والخامس:** أنها تسبب تعقيد القضية لا حلها.

نسأل الله لنا ولهم الثبات على الحق ، وأن يرزقنا وإياهم الصبر على الابتلاء ، فمهما اشتد الخطر وادَّلهم الظلام فالنصر آتٍ لا ريب فيه _إن شاء الله-.
((إنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ)).

.

مواقف في الفكر الإسلامي الحديث

محمد بن حامد الأحمري

أصبح الإسلام موضوع الساعة في الـعـالـم ، الكـل يكتب ويخطب ويناقش ، وسيطرت قوة الحقيقة الإسلامية على الساحة ، تحقيقاً لوعد رســول الله - صـلى الله عليه وسلم- لهذا الدين بالظهور إلى قيام الساعة، سواء بالحجة والبيان، كما في العهد المكي، أو بهما إضافة إلى القوة والسلطان كما في العهد المدني (1) وما تلاه، ثم في غالب التاريخ الإسلامـي، ففي حال عدم ظهوره بالقوة والسلطان فإن قوة الحجة والبرهان معلومان بالضرورة من بديهيات الإيمان.

ولا غرابة أن نجد كاتباً كافراً يبدو نصرانياً يقول: "الإسلام يفرض على المجتمع الحديث احترام حقوق الله وحقوق الإنسان ، التي نص عليها القرآن لذلك تسعى الاشـتــراكـية أن تكون إسلامية ، وتسعى الديموقراطية أن تتلون بالدين" (2) ، ثم صدرت مقولات كثيرة ، وظهرت سلوكيات تبدو محابية للإسلام ممن عرفوا بعدائهم له جهراً ، ثم عادوا يتملقونه ويتظاهرون بعدم الاختلاف معه.

وربما جعل أحدهم نفسه فقيهاً ومــفــتــياً في مهمات أمور الإسلام ، ركوباً للتيار. وأكتفي بسوق مثال واحد من هؤلاء ألا وهو المــطــران كـابودجــي الذي شُهر بالدفاع عن القدس، وقــــال: إنه تزوج القدس كما تزوج غيره قضية فلسطين ، وزعم أن الله عهد إليه بتحرير الــقــدس. يقول: "كلنا مسلمون ، منا من أسلم على طريق القرآن ومنا من أسلم عن طريق الحكمة.. الــرب أبـــونا" (3) وعلى ما في الكلمة من خداع لفظي ولكنها من أمثلة التزلف للإسلام من عدو محارب له.

إن هـــذا الـتـوجـــه والاندفــاع للحديث عن الإسلام ودراسته مع إبقاء الأهداف المريبة، يستوجب إظهار قوة ونفوذ الفكر الإسلامي ، وإحسان التعامل مع موجة العداء الجديدة، والهيمنة عليها. ولأن مفاهيم الإسلام جاءت مهيمنة على غيرها ، فأساس هذه الـمـفـاهيم ومنبعها أنزله الله مهيمناً على ماعداه.

المواجهة مع أعداء الله فكرية أو عسكرية لا تعرف الهدوء ومن توقع أن الهجمة انتهت أو ضعفت فهو غافل غائب عن ميدان الصراع. ومن المؤسف أن المواجهة الفكرية ، المطلوب من المسلمين القيام بها لا تتناسب في هذه الظروف مع شراسة الهجمة واتساع دائرتها. ويمكن القول أن عدداً قليلاً ونادراً من الإنتاج الفكري الإسلامي اليوم يستحق الاهــتــمــام والدراسة ، أما الغالب فجهود يغلب عليها أسلوب التغزل بمبادئ الإسلام ومثله أو الدفاع والاعتذار ، وتملق الناس ومهادنة أحوالهم السائدة ، وليس بما يمليه الإسلام من علوٍ لـه على ما سواه وتنفيذ لحكمه مهما بدا في نظر البشر غريباً.

هذه الكُتب أو الأعمال الفكرية أيا كان -نوعها التي تسودها السطحية وغموض الـهـــدف تنتشر بواسطة الشهرة والصداقة والمعرفة الشخصية في مجتمع اعتاد بعضه على الإملائية الفكرية ، التي تملي على المسلمين القراءة للكاتب المردد لا للكاتب الرائد ، تملي وتوجه إلى القراءة للفكر المهادن للجمود الفكري وليس للفكر الواعي الموقظ.

نتيجة لهذا النوع من الفكر تخرج للساحة أعدادٌ هائلة من المسلمين تتناسب في كل أمورها مع تلك الثقافة الواهنة الخجلى التي تغذت بها وتعاني مما تعانيه تلك الكتب.

ورحم الله إقبال إذ يقول:

جوهر الآساد أضحى خزفاً حين صار القوتُ هذا العلفا

إن هذا النوع من الفكر لا يمكن أن يوجد لنا ما نهدف إليه وما يحتاجه المسلمون من قوة معنوية فكرية تكون أساساً للقوة المادية. إن قوة ((وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) كانــت روحاً قوية سرت في قلوب الصف الأول فأوجدت ما تبع من قوى. إن القرآن هو مــصـدر التثقيف والبناء الفكري والتربوي للرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ، وعائشة -رضي الله عنه- تقول حين سئلت عن خلقه -صلى الله عليه وسلم-: كان خلقه القرآن.

فأي جيل يمكن أن يخرجه ركام الوهن والجهل والتقليد والتلقية هذه الأيام ، لكم نسخط على التقليد الذي أوهن العقل والروح عند المسلمين. ثم نمارس نفس العيب إنما بأسلوب آخر ما أحرانا أن نخترق هذا الركام ونستصفي منه ما يعنينا لا ما يثقلنا "فإن الغلبة والاستيلاء المعنوي يقوم بنيانه في الحقيقة على الاجتهاد والتحقيق العلمي. فكل أمة تسبق غيرها إليه تتولى قيادة العالم وزعامة الأمم ، وتستولي أفكارها هي على العقول. أما الأمة التي تتخلف في هذا الطريق فلا تجد مناصاً من اتباع الغير وتقليده إذ لا يبقى في أفكارها ومعتقداتها من القوة والأصالة ما يكسبها السيطرة على الأذهان فيجرفها تيار الأفكار القوية التي تقوم بها الأمة الباحثة المجتهدة"(4). أما الأفكار المهزومة فهي التي تنجب أجيال الهزيمة فكراً وفعلاً .

ومما زاد هذا الوهن الفكري تعقيداً وقوعه تحت ما يمكن أن نسميه مشكلة الميراث الثقافي أو التراث. وأحيانا تحت أثر الثقافة الأجنبية الغربية ، فكثيراً ما نجد التراث يسوق الكاتب أو العالم في عراك تاريخي لا علاقة له بالواقع. أو في الجانب الآخر نجد الكاتب يقرر أفكاراً في بعض الأوقات لا تكون إسلامية ثم يبحث عن الشاهد من الآية والحديث لسببين: إما أن تكون مؤيدة لفكرته ، لا مؤسسة لحكم أو موقف فيكون رأيه هو الأساس والآية مؤيدة وليست مؤسسة ؛ أو أن تكون مسوقة للزينة أو ما يسمى بحسن الاستشهاد. وقد تجد الآية أو الحديث على ندرتهما غير متناسقين مع السياق.

إن قيام المسلمين بنقد إنتاجهم الفكري وإبراز الحق فيه وتقويم الأخطاء المتتالية لضرورة ملحة وسط هذا الزخم الذي يتراكم دون أنً يجد مقوماً.

كيف لا يدرك من يكتبون عن الإسلام أهمية نقد أعمالهم. والنقد وتذكير النفس بعيوبها قاعدة قرآنية ثابتة: ((أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [آل عمران:165].

ألا يرى هؤلاء الكتاب أن الله قد خاطب بهذه الآية محمداً وأصحابه حثاً لهم على ملاحظة عيوب النفس والصف واستكمال المحاسن ونفي النقائص ولئلا يعلق المسلمون مصائبهم على مشاجب الاستعمار والشيوعية والقومية.. إلخ.

وفي طريق الهروب من النقد نلبس هذه الكتب والأفكار لباس الإسلام وقداسته وكأن كل نقد لها فيه مساس بقدسية الإسلام وجنابه ، وهذا الاتجاه لا يعنى مهابة نقد هذه الأعمال فلم يشفع للأحاديث الضعيفة والموضوعة أن

لجأت تحت مظلة الحديث الشريف. بل هتك علماء السنة أستارها. والنقد البناء ضرورة لتخليص الناس من الآراء التي جانبت الصواب. وفي هذا الطريق توضع الأسماء والكتب الصغيرة والكبيرة تحت معيار الكتاب والسنة مع احترام من وفُقّ وعذر غيره وبيان الحق.

الهوامش:

1- من شرح ابن تيمية للحديث في الفتاوى.
2- التراث والحداثة ، بولس خوري ، ? 162.
3- مقالات راشد الغنوشي ، 124.
4- نحن والحضارة الغربية ، المودودي ، ص 12.

نظرات في الدراسات الاجتماعية مصادرها ومناهجها

طارق عبد الحليم

تحـتـل الـدراسـات الاجتماعية مكاناً بارزاً بين العلوم التي تشتد إليها حاجة الأمم ، مع تـزايــد درجــة وعـيها بسنن الله سبحانه في خلقه الماديّ والبشريّ جميعاً ، ومع اضطراد رقيها العقلي والخلقي ، وبعدها عن عفوية الفهم ، وتلقائية التصرف.

وإن كنا نقصد بتلك الدراسات ما يتناول الحالة الإنسانية في انفرادها واجتماعها بالبحث والتحليل ، وإظهار ما يعتريها من ظواهر نفسية ، وسنن اجتماعية ، فإن القرآن الكريم قد أحلَّ تلك المباحث محلاً عالياً ، وأولاها رعاية بالغة ، وعالج في محكم آياته العديد من تلك الظواهر ، كما أفصح عن دوام تلك السنن ؛ دل سبحانه على اضطراد سننه العامة المادية والاجتماعية في قوله تعالى: ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)) [الأحزاب:62] ، وعالج حركة النفس الإنسانية حين تواجه خطراً محدقاً يكاد يذهلها عن قوام وجودها - الإيمان - حتى لتظن بالله الظنون ، قال تعالى: ((إذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وإذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)) [الأحزاب:10] ثم يصف سبحانه حالة النفس المنافقة المخادعة ، وقد واجهت الخوف والفزع: ((أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ)) [الأحزاب:19]. ويفصح سبحانه عن اختلاط أصحاب النية الصافية الكاملة التوجه لله سبحانه بمن لا يزال للدنيا نصيب من نفسه ، وإن لم يصادم ذلك الإيمان في معرض بيان أثر ذلك على الدعوة الإسلامية وتقدمها ، منبئاً عن

ذلك القدر الرفيع من الإيمان الذي يتمحص فيه الخير ، وتتفرد فيه النية لله ، ((حَتَّى إذَا فَشِلْتُمْ وتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ومِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ولَقَدْ عَفَا عَنكُمْ واللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ)) [آل عمران](1).
ثم كثير من الآيات المحكمات التي يعالج فيها الحق سبحانه تلك الحالات التي تطرأ على النفس أفراداً وجماعات ، ليكون المؤمن على بصيرة من نفسه ، وعلى وعي بمسالكها ودروبها.
يقول سيد قطب في الظلال: "وكان القرآن الكريم يتنزل في إبان الابتلاء ، أو بعد انقضائه ، يصور الأحداث ، ويلقي الأضواء على منحنياته وزواياه ، فتنكشف المواقف ، والمشاعر ، والنوايا والضمائر ، ثم يخاطب القلوب وهي مكشوفة في النور ، عارية من كل رداء أو ستار ويلمس فيها مواضع التأثر والاستجابة(2).
ثم السنة الشريفة التي فيها بيان الكتاب وتفصيله ، هي بيان لما بين العبد وربه ، وبين العبد وأخيه ، وبين العبد ونفسه ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته القولية والعملية ، وفى سيرته الطاهرة قد مارس أعلى درجات التربية النفسية ، والتوجيه الجماعي لتلك العصبة المؤمنة الأولى ممارسة فعلية وبياناً قولياً بما يصلح أن يكون منهجاً متكاملاً وأساساً ركيناً لما هو موضوع تلك الدراسات الاجتماعية الإنسانية.
وقد تناول عديد من علماء المسلمين وأئمتهم ، في مجالي المباحث الأخلاقية والتربوية ، ما يجب أن يكون عليه المسلم من خلق قويم ، وما يجب أن يتحاشاه من سلوك ذميم ، من خلال التعرض لتلك الصفات الحميدة التي دل عليها الكتاب وفصلتها السنة كالصبر والحلم وكظم الغيظ في مجال المباحث الخُلقية ، كالإمام النووي وابن القيم وغيرهما.
كذلك تناثرت في خلال بعض الدراسات التاريخية إشارات للسنن الاجتماعية التي جعلها الله سبحانه قوانين ثابتة تحكم التجمعات البشرية في كل زمان ومكان ، كما يتضح في كتابات ابن تيمية وابن القيم على وجه الخصوص كما ظهرت في العصر الحديث بعض الدراسات التي تناولت الجوانب الخلقية والأصول التربوية الإسلامية وبعض الظواهر الاجتماعية بالبحث والتحليل ، نذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر- تلك الدراسات القيمة للأستاذ محمد قطب عن "منهج التربية الإسلامي" والتي تناول فيها ، فيما تناول ، بعض الظواهر المتعارضة في الحياة الاجتماعية ، والتي تتعرض لها النفس الإنسانية بعامة ، في صورة من الصور ، كالفردية والجماعية ، أو السلبية والإيجابية (3).
وقد أسهم الدكتور محمد أمين المصري ، بدراساته العميقة حول التربية الإسلامية وأغراضها ، وحول دور الفرد والمجتمع في الإسلام ، وسلوك الفرد وأهميته ، في مجموعة محاضراته "المجتمع الإسلامي" وكتاب "المسؤولية"

وغيرهما ، مما هو جدير بأن يكون محل احتفاء ورعاية من المسلمين ، لما فيه من توجيهات فذة ، وتحليلات رائدة.
كذلك ما تناوله الأستاذ مالك بن نبي من ظواهر شائعة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، بعد أن تقهقرت في سلم الرقيّ الحضاريّ كالسطحية ، وذهان السهولة ، وما أشار إليه الأستاذ جودت سعيد في كتابه القيم "حتى يغيروا ما بأنفسهم" ؛ إلى غير ذلك مما يهم المسلمين اليوم أن يرصدوه في واقعهم وأن يتعاملوا معه تعاملاً واقعياً مبنياً على معرفة وإحاطة بما يعتمل في النفس الإنسانية من دوافع الخير ونوازع الشر.
ومما لاشك فيه أن الساحة الإسلامية قد ماجت بأحداث جسيمة خلال العقود القليلة الماضية ، وتجاوبت تلك الساحة للأحداث بردود أفعال شتى ، ظهرت من خلال أوضاع لا تغيب عن عقل الباحث المتتبع لمسرح الحياة الإسلامية في تلك الفترة المعاصرة. وكان من نتائج تلك الأحداث وردود أفعالها في واقع المسلمين وحياتهم أن ظهرت معطيات جديدة في الخريطة الاجتماعية للحياة الإسلامية لم تكن من قبل ، كما تعرضت النفس المسلمة - الفردية والجماعية - لمؤثرات لم تتعرض لها من قبل ، ذلك كله قد جعل الحاجة ماسة -أكثر من أي وقت مضى- إلى مزيد الاهتمام بتلك الدراسات الاجتماعية والإنسانية ، والتي تتناول بالتحليل والملاحظة النفس الإنسانية المسلمة في واقعها الفرديّ والجماعي ، ومن خلال حالات واقعية محددة بعيدة عن التجريد ، لتصل إلى الأسباب الكامنة وراء تلك الظواهر العديدة التي تجتاح المسلمين وحياتهم ، وتجتالهم عن طريق الحق والتقدم للهدف.
ولنزيد الأمر إيضاحاً فيما يخص تلك الدراسات ، نستعين بضرب المثل - أسوة بالقرآن الكريم - ولنتصور جماعة من العاملين بأحد المصانع ، وقد لاحظ القائمون عليهم ضعفاً وتكاسلاً ، انعكس على قلة الإنتاج ورداءته ، ولمعالجة ذلك القصور كان أن عرض اقتراحان:

أولهما:

أن يبين للعاملين في هذا المجال -من خلال محاضرات وندوات طويلة ومكثفة - ما يجب أن يكون عليه العمل ، وما هي صفات العامل المجد ، وما هي عواقب التكاسل والتراخي ، وما هي مزايا الجد والاجتهاد وفضل الإيثار وعدم الأنانية.. على أن يتم هذا التوجيه سواء بالكلمة المسموعة أو النشرة المكتوبة.

ثانيهما:

أن نتناول بالملاحظة والتحليل تصرفات العاملين في المواقف المختلفة - أفراداً وجماعات - وطبيعة العلاقات بينهم ، وأن تشمل تلك الدراسة طبائع مثل تلك التجمعات مقارنة بمثيلاتها ممن يشترك معها في صفاتها وخصائصها ونزعاتها ، ثم علاقتها بقياداتها التي تدفعها للتكاسل والإحجام ، أو البذل

والعطاء ، وما هي وسائل حفز أولئك الأفراد ليكونوا أغزر إنتاجاً ، وأكثر نشاطاً ، وأقل اختلافاً ، وتعارضاً في المصالح كما يشمل البحث الحياة الشخصية للأفراد ، فرداً فرداً ليرى ما يؤثر فيها من مشكلات وصعوبات تنعكس على أدائها بشكل أو بآخر ، وما يوجهها في حركتها من دوافع داخلية مستترة قد تتوافق مع الهدف العام والسياسة النهائية للمصنع أو تتعارض معه ، كذلك تلك العلاقات التي تنشأ بين الناس من حداثة وود وأخوة ، أو عداء وبغض وتحاسد ، والتي يرجع وجود كل منها إلى طبيعة النفس الإنسانية في أساس فطرتها حين تتعارض المصالح أو تتدافع الأهواء ، بحكم ما هو واقع لا بحكم ما يجب أن يكون.

حين تتم هذه الخطة ، وينتهي هذا البحث ، فإنه يمكن أن نزيل ما أمكن من عوائق داخلية تعرقل الاندفاع لتحقيق الهدف والوصول إلى الغاية وزيادة الإنتاج وكفاءته.

إذا انتقلنا بذلك المثال من مجال العمل والصناعة إلى مجال النشاط الإنساني عامة ، في اجتماعه لأداء عدد من الأهداف المحددة كمجموعة إنسانية ، أو لتكوين وحدة بشرية تاريخية كمجتمع متكامل ، لاتضح لنا أهمية ما أشرنا إليه من دراسات.

فالحل الأول: يمثل الاتجاه المثالي في حل المشكلات ، وهو الطريق الأسهل.

والحل الثاني: يمثل الاتجاه الواقعي التجريبي ، الذي اعتمده القرآن في مواجهة الأحداث أثناء تنزله على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؛ ليصلح من خلال الحركة الواقعية الحية ، كما يصلح من خلال البيان النظري.

الحل الأول: يمثل حلماً جميلاً يتمناه الناس جميعاً ، ينبني على فرضية أن الناس تتبع أحسن ما يقال لهم ، وأنه بمجرد ظهور الحق ومعرفته ، سينصاع له الكل متحدين متآلفين! وأن النفس الإنسانية حينذاك تكون في قمة الأداء ، لا تشوبها شائبة من طمع أو تحاسد أو مصلحة.. ولكن رصيد ذلك في الواقع قليل..

والحل الثاني. يأخذ في الاعتبار ما أوضحه الله سبحانه في محكم آياته من أن " الإنسان" قد جبل على صفات مشتركة مركوزة في أساس فطرته ، قال تعالى: ((إنَّ الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً)) [المعارج:70] ، وقال تعالى: ((خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ)) [الأنبياء:36] ، وقال تعالى: ((وخُلِقَ الإنسَانُ ضَعِيفاً)) [النساء:28] ، والإنسان هو الإنسان.. المسلم يعلو بإنسانيته ، لا فوقها - كما زعمت النصارى حين فرضت على قساوستها ترك الزواج لأجل الله! في زعمهم - ويدافع شهواته وطبائعه فينتصر حيناً ، وله الثواب والفضل لله تعالى ، وينهزم حيناً ، فثم شرعت الحدود والعقوبات للتطهير والتكفير.. ثم عفو الله العميم.. ذلك والمشرك مخلد إلى الأرض قانع بالدون سادر في عينه. فاعتبار تلك الطبائع والفطر - إذن - بالنظر إلى تلك القوانين الكلية التي تحكم حركة المجتمعات الإنسانية

عامة ، وأسباب صعودها واندفاعها ، ثم عوامل ضعفها وانهيارها إنما هو بمثابة الطريق المرسوم الذي يخطو عليه المسلمون عارفين بدروبه وشعبه ، آمنين مزالقه ومخاطره ، وهو الهادي لهم في تجمعاتهم العامة والخاصة ، الكبيرة والصغيرة ، إذ هي سنن كلية الهية لا تتخلف في زمان دون زمان ، ولا تجامل فئة دون فئة.
ولا يظن ظان أن تلك الدراسات مبتوتة الصلة عن العلوم الشرعية ، وأن لا مكان لها فيما يتعلق بالعلم الشرعي! وإنما هي -كما في علوم التاريخ والعربية والأصول - علوم خادمة للعلوم الشرعية الأساسية كالتفسير والفقه والحديث ، والتي هي كلها في آخر الأمر إنما تفي بإقامة حياة الناس في الأرض على حسب ما أراد لهم ربهم سبحانه ، فهي تعين على فهم الواقع ، وتساعد على استنباط ما يصلح حياة المسلمين من الأحكام الشرعية ، التي تحكم واقع المجتمعات عامة ، وخلجات النفوس خاصة ، كما تحكم تصرفات الأفراد وقوانين الدول.
وقد تعرضت تلك النوعية من الدراسات في هذا المجال ، والتي ظهرت بشكل مستقل متخصص في أوربا منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي للكثير من النقد والإعراض.
وكان ذلك النقد والإعراض مبنياً على مبدئين رئيسين:
أولهما: أن ما يعرف حالياً بالدراسات الاجتماعية والإنسانية ، هو وليد الفكر الغربي ، وحضارة الغرب - بكل ما تحمله من أوزار فكرية - تجعل نتاجها محظوراً ، وإن صلح بعضه ، درءاً للشبهة ، وبعداً عن مواطن الزلل. كما أن كثيراً من رواد تلك الدراسات في الغرب من الشخصيات المشبوهة التي ينبعث فكرها من خبث فلا تنتج للناس إلى خبثاً .
ثانيهما: أنه - على العكس من ذلك وفي مقابله -يقدم الإسلام لأبنائه ، كمنهج شامل للحياة الإنسانية من لدن حكيم خبير ، تصوراً واضحاً ، وأساساً سليماً يصور الحركة الاجتماعية في سكونها وتطورها ، وفي صعودها وهبوطها ، ويصف الحياة الإنسانية في أدق خلجاتها النفسية من المصادر البشرية ، انحراف عن الصواب ، ونكوص عن الحق ، لا يليق بالطليعة المسلمة التي تنشد أن تكون مناراً وضيئاً يفىء إليه المسلمون من كل حدب و صوب.
وكلا الأمرين حق لا ريب فيه ، فالدراسات الاجتماعية والإنسانية والغربية - في العديد من جوانبها - تختلف عن الإسلام في المصادر والوسائل ، ومن ثم في الأهداف والنتائج.
كذلك فإن الزاد الهائل الذي رصده القرآن -كما أشرنا إليه - ليضع به تصوراً واضحاً لأسس الاجتماع الإنساني على أساس أن "الإنسان" هو خلق الله تعالى ، وتحليل النفس الإنسانية كما هي عليه من ناحية ، وكما ينبغي أن تكون من ناحية أخرى ، لجدير بأن يغترف منه الباحثون ما يقيمون به علماً يوجه حركة المجتمع ، وخلجات النفس إلى الأمثل والأكمل.

إلا أن ذلك كله لا يمنع من أن يتعرض المسلمون لنتاج الفكر الغربي في هذا المجال دارسين وناقدين ، مصححين أو مزيفين ، بشرط دقة التحري في البحث ، وأن يكون الباحث كالصيرفي الماهر الذي ينقد صحيح الذهب من زائفه ، وأن يكون على علم شرعي يتمكن به من تمييز ما يخالف عقيدة أهل السنة ومنهج نظرهم ، أو يصادم معلوماً من الدين بالضرورة ويهدم أصلاً من أصول الشريعة ، مما هو مشترك بين بني آدم بحكم اتفاق الفطرة ، واتحاد الأصل ، ووحدة السنن ، وبما يتمشى مع توجيهات الله سبحانه للمسلمين بما يحفظ له علو المكانة وشرف المنزلة التي يسود بها سائر المخلوقات.
وإننا لنجد ذلك المنهج جلياً في تلك الدراسة العميقة التي كتبها الدكتور "محمد عبد الله دراز" عن "دستور الأخلاق في القرآن" والتي بحث فيها النظرية الأخلاقية في مباحث الغرب ، بنظر المسلم المتمكن من فهم دينه ، فأقر بالصحيح ، وكشف عن وجه الضعف والخلل ، أو النقص والقصور ، ثم وضع أساساً للدستور الأخلاقي الإسلامي كما أوصت به نصوص الكتاب الكريم بناء على تلك الدراسة المقارنة.
فعلى سبيل المثال ، نجد الباحث في حدود حديثه عن مصادر الإلزام الأخلاقي قد تعرض لكاتبين من كبار مفكري الغرب ، أولهما: هنرى برجسون في كتابه "مصدرا الأخلاق والدين" حيث قال عنه دراز: "استطاع الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ، في تحليله العميق لقضية الإلزام الأخلاقي أن يكشف له عن مصدرين: أحدهما قوة الضغط الاجتماعي ، والآخر قوة الجذب ذي الرحابة الإنسانية المستمدة من العون ا لإلهي" (4).
إلا أنه عقب على ذلك -بعد التحليل - بأن عرض برجسون لا يفي بالمقصود ، بل ويخالف المنحى القرآني في بعض جوانبه ؛ قال: "أما إذا تناولناه - على أنه نظرية في الإلزام الأخلاقي - فإن تحليله يحمل بعض الصعوبات ، وشيئاً من الانحراف عن الجادة ، بالنسبة إلى وجهة النظر القرآنية " (5).
كذلك فقد تعرض لما كتبه المفكر الفرنسي "عمانويل كانت" عن الإلزام الأخلاقي في كتابه "أسس ميتافيزيقا الأخلاق" فقال: "ولقد أحسن "كانت" صنعاً برغم النقص في طريقة تقديمه لنظريته حين أكد أنه كشف عن مصدر الإلزام الأخلاقي في تلك الملكة العليا في النفس الإنسانية".
ثم أوضح أن ذلك يتفق تماماً - حسب ما يرى- مع النظرة المستخلصة من القرآن في تكوين الإحساس بالخير والشر لدى الإنسان في قوله تعالى: ((ونَفْسٍ ومَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا)) وتزويدها بالبصيرة الأخلاقية في قوله تعالى:((بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ))(6).
ذلك المنهج الذي يتعرض لنتاج الفكر الغربي فيحلل وينقد ، ويصحح ويزيف هو ما أردنا إليه ، إذ تتسع من خلاله آفاق المعرفة ، وتتفتح المجالات المتعددة التي يجب أن يعني بها المسلمون أكثر من عناية الغربيين فالحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها فهو أحق بها ممن سواه.

إلا أنه يتعين علينا ، قبل أن نمضي في بحثنا قدماً ، ألا ندع مجالاً للبس أو الغموض لدى القارئ في تحديد نوعين من المصادر التي أشرنا إليها آنفاً:

أولهما:

تلك المصادر التي يرجع إليها في تحديد القواعد العامة والقوانين الكلية التي تندرج تحتها تلك الأشكال من العلاقات الاجتماعية والإنسانية ، والتي تستقي منها الإجابات والحلول لشتى المشكلات والأوضاع الواقعية ، ونعني بها: كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وسيرته ثم ما انبنى عليهما من منهاج استقر عليه الصحابة والتابعون ، وتمثل في حياة وسير أعلام الأئمة على مر العصور.

وثانيهما:

تلك المصادر التي يمكن أن تسهم في إثراء مجال التجربة الإنسانية ، في الواقع الحي ، بحيث يشمل نطاق البحث الإسلامي كافة ما يمكن أن يشمله من أوضاع وعلاقات ، سواء نشأت في الواقع الإسلامي ، أو في الواقع الغربي بحكم ما هو مشترك بينهما في الصفات الإنسانية العامة.

فالمصادر الأولى:

هي مصادر الحلول والهداية ، إلى جانب التجربة الواقعية.

والمصادر الثانية:

هي مصادر تغني مجال التجربة ، وإن تقيدت في نتائجها النهائية وتحليلاتها بمعطيات المنهج الإسلامي لتوائم الواقع الإسلامي الذي تُطبق عليه.

ولا بأس - إذا وصلنا إلى ذلك القدر من البحث - أن نعرض لمثالين من إسهامات باحثي الغرب في المجال الذي أشرنا إلى أهميته في بحثنا ، مما نجده صالحاً للاستعانة به في فهم مجال تلك الدراسات المطلوبة وتحديد منهاجها ومجالها.

أول تلك الدراسات لأحد العلماء الألمان وهو "ماكس فيبر" 1864 - 1920 حيث ذكر خلال تحليله القيم للبناءات الاقتصادية الكبرى ، وما يرتبط بها من عوامل اجتماعية ، تؤخذ في الحسبان لتؤتي تلك البناءات ثمارها ، إلى أن المجموعات البشرية - بشكل عام - حين تعمل لهدف من الأهداف بشكل جماعي ، فإنها تمر بأطوار محددة لا تكاد تختلف -حسب ما ذهب إليه الكاتب - في حالة المجموعات الدينية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

أولها: سلطة الزعيم أو البطل الموهوب: الذي يقوم العمل على أكتافه وبمواهبه الذاتية وقدراته الشخصية ، التي عادة ما تكون قدرات فائقة ، وفي هذه المرحلة يكتفي الاتباع بترسم خطى الزعيم واتخاذ أقواله منهجاً وأفعاله معلماً ، وغالباً ما تنعدم روح النقد وتندر روح الابتكار في تلك المرحلة للثقة في الزعيم المؤسس ، ويكون الولاء مقدماً على الكفاءة ، من حيث أن

الحاجة إليه في إحكام الترابط أشد من الحاجة إليها ، وقد استغنى عنها بمواهب الزعيم.
الثانية: وهي التي تنشأ حين اختفاء الزعيم المؤسس لسبب من الأسباب ، وفيها تتجه المؤسسة إلى أحد شكلين من أشكال التعامل والتعارف.

أولهما: التقليد أو التقليدية:

وفيها تجري الأمور على ما قرر ذلك الزعيم دون تغيير أو تبديل ، كما يقل التجديد ولا يتوقع أن ينشأ زعيم من طراز المؤسس ، بل حتى إن نشأ فإنه عادة لا يلاقي قبولاً كافياً لمنحه سلطة العمل المطلق ولا يندفع العمل للأمام إلا بقدر طاقة القصور الذاتي ، المخزونة فيه من المرحلة الأولى.

ثانيهما: التنظيمية العقلية:

وفيها تنحو المؤسسة منحى التنظيم المبني على التخطيط والعقل وإعطاء كل مشارك دوراً فعالاً ، دون ادعاء لوراثة الزعيم المؤسس من أحد أتباعه ، أو لضرورة تقليد خطواته كما رسمها ، وتكون الحركة على أساس تقييم صحة العمل ونتائجه لا على أساس نسبته لما قرره المؤسس.
وعلى أساس الخط الذي تختاره المؤسسة - في المرحلة الثانية - من هذين الاتجاهين يكون مدى نجاحها أو إخفاقها في الوصول لهدفها المحدد(7).
وما سبق هو عرض محض - بما يناسب الواقع الإسلامي - لما ذكره العالم الألماني ، يلحظ فيه قوة الملاحظة ، واستقراء الواقع ، مع محاولة استنباط السنن العامة التي تربط الحوادث الاجتماعية برباط واحد ، وتخضعها لقانون عام ، حتى يمكن تعرية آثارها والاستفادة منها فيما شابه تلك الحالات بأن ظاهرة العمل الجماعي ، كما وصفت في تلك الدراسة ، هي ظاهرة اجتماعية عامة ، تنشأ - عادة - حول نواة ديناميكية متحركة تجتذب حولها - حسب قوة جاذبيتها الخاصة-العديد من الوحدات العاملة ، لتدور في فلكها ، وتتغذى بحرارتها ، وتهتدي بمسارها ، ثم لا تلبث تلك النواة أن تختفي لسبب أو لآخر ، فماذا يكون مصير تلك الوحدات العاملة ؟ وهل ينفرط عقدها ويتناثر جمعها ؟!
الاستقراء الذي تدفعه تلك الدراسة قد دل على طريقين: أحدهما يخضع لذلك التقليد الممقوت الذي يجعل التابع أقرب للآلة منه للإنسان ، فلا يصح عنده إلا ما كان ولا مكان لجديد تحت الشمس ! وما كان البطل الموهوب ليخطئ ، بل وما كانت الظروف التي لابست وجوده وعمله لتتغير بما يستدعي إعادة النظر في منهاج عمله ، وإن ظل الهدف ثابتاً.. إلى آخر تلك الظواهر التي هي إلى خواص النفس المريضة أقرب من النفس المخلصة.
والطريق الآخر يرجع -في حقيقة أمره - إلى دقة المؤسس الأول في رسم الخطوات التالية التي تضمن مسيرة المؤسسة للأكمل ، كما يتأثر بمدى عمق الفهم وسعة الأفق واستيعاب المنهج لدى الصف الثاني من العاملين ، حين تغير الظروف وتبدل الأحوال ، فتنشأ حينئذ التخصصات ، وتنمى المواهب ،

ويترك المجال مفتوحاً لكل اجتهاد يدفع عجلة التقدم ، وتتسع الصدور للنقد البناء ، وتتساقط دعاوى العصمة.

إلا أنه من الضروري الإشارة إلى قصور تلك الدراسة عن أن تشمل ذلك النمط الخاص الذي تفرد به أنبياء الله -صلوات الله عليهم- ، فإن إطلاق ذلك التصور على كافة ما يطرأ على الاجتماع الإنساني في كل المجالات كما صور الباحث تجوُز لم لا يصح ، إنما منشؤه عدم إدراكه لمعنى النبوة ودورها ، فإن الأنبياء عليهم السلام ، الذين هم أقطاب البشرية التـي دارت حــولـهـا تجمعات إنسانية هائلة ، واهتدى بهديهم البشر في كل زمان ومكان ، لا يخضعون لذلك الـتـحـلـيل ، إذ إنهم سادة المربين الذين أحسنوا توجيه الاتباع إلى خيري الدنيا والآخرة.

وثاني تلك الدراسة يختص بدراسة تصرفات الأفراد حين يعملون بشكل جماعي لتحقيق هدف من الأهداف ، خلاف الأولى التي عنيت بشكل وتطور المجموعة البشرية كمؤسسة جماعية لا بأفرادها داخل تلك المؤسسة ، وقد أوضح صاحبها وهو العالم الأمريكي "توم يرنز" أن نشاط الأفراد يتجه داخل المؤسسات الجماعية-أيا كانت طبيعتها وهدفها - إلى ثلاثة أشكال:

الأول - النشاط التعاوني:

ويعني أن الأفراد تنزع فيما بينها-وقد اجتمعت على هدف من الأهداف - إلى أن تـتـعاون لتحقيق ذلك الهدف ، إذ هي تدرك بالفطرة أن قواها الذاتية منفردة لا تقوى على تحقيق الهدف إن لم تنضاف بعضها إلى بعض.

الثاني - الاتجاه التنافسي:

وهو يعنى أن الأفراد حين يعملون بشكل جماعي ، وبرغم ضرورة التعاون التي يدركونـهـا فيما بينهم ، فانهم ينزعون -كأفراد أو كمجموعات -إلى التنافس على تحصيل أكبر قــدر مـــن الإمكانيات المتاحة داخل تلك المؤسسة لصالح فرد من أفرادها أو مجــمــوعــــة من مجموعاتها على السواء.

الثالث - التعامل السياسي:

ولا يعني مصطلح السياسة في هذا المجال ما يتبادر إلى الذهن مما هو معروف من مــعـاني السياسة الدولية الخارجية أو الداخلية ، إنما يعني - بإيجاز - استخدام تلك الأسـاليب غير المباشرة التي يلجأ إليها الفرد - أو الجماعة - في ظروف خاصة ، لتحقيق هــــدف معين ، مثال ذلك من يحاول إبراز قيمة عمله الشخصي ، وأهميته بالنسبة للصالح العــام للمؤسسة ، وكم يلاقي من متاعب في سبيل إنجازه ، حتى يصل إلى هدف خـــاص -قـــد يكون مشروعاً في غالب الأحيان - كتثبيت وجوده داخل تلك المؤسسة ، أو اكتساب قـدر أكبر من الأهمية يمهد به لكسب معنوي أو مادي (8).

ومع التأكيد على أمرين:

أولهما: خطر التعميمات والإطلاقات التي تطلقها تلك الدراسات على نتائجها واستقراءاتها.
والثاني: أن تلك الدراسة إنما كانت مادتها التي استمدت منها مـــشـــاهـــداتـــهـــا، هي الجماعات الأوربية - أو الغربية على الأصح - التي تتميز بثقافة خاصة لها جذور نفسية معينة ، كما أن لها وسائلها الخاصة في النظر للأهداف والوسائل على حد سواء.
إلا أنه لا يمكن القول بأن تلك الدراسة وإن كانت تتناول مجالاً مــعــيــنـاً مـن مـجــالات الاجتماع الإنساني في سبيل تحقيق أهداف مشتركة ، إلا أنها في حقيقتها وصف لـــــذلك التدافع الذاتي الذي أقام عليه الله سبحانه أمر الدنيا والناس ، وهي صورة العلاقـــــات البشرية المعقدة التي تحتاج إلى تشريح وتفصيل في كل دقائقها ، ليتمكن الناس من نهج ما يصدر عنهم وعن غيرهم - أفرادا وقيادات - في مختلف المواقف والحالات.
ولاشك أن تحليل تلك القوى العاملة -على السطح وتحته - في المجتمعات الإنسانية يعطي تصوراً للمسلمين ، يمكنهم من تقوية مجتمعاتهم وتحديد القوى السالبة التي تدفعهم للوراء ، وتقليل آثارها ما أمكن.
فالتركيز على فهم ســنة "الاتحاد" وضرورته كبديل وحيد للوصول إلى الغاية المنشودة إنما يتأتى بإبراز ذلك الــنـوع الأول من النشاط التعاوني وتقوية الشعور به وتنميته. كذلك فإن الحد من آثار ذلك الاتجاه التنافسي ، أو تحويل قوته الدافعة إلى قوة مفيدة للعمل بدلاً من أن يكون سبيلاً للتحدي بين الأفراد، والمنافسة الذميمة بينهم، أو مجالاً لاختيارات القوى التي يظهر فيها ضعف النفوس ، وصغر الاهتمامات ، لهو هدف من الأهداف التي تستحق أن يبذل فيها الباحثون جهدهم للوصول إلى كافة تفصيلاته التي يمـكــن أن يــبـرز فيها في مختلف المجالات.
كما أن إدراك السبل والوسائل التي يتخذها الناس للوصول إلى أغراضهم - وإن كانت مشروعة - لهو ضرورة حتمية يحتاجها الدعاة إلى الله ليكونوا على بصيرة في تعاملاتهم ، إذ إنه مما لاشك فيه أن الوصول للغرض بشكل مباشر مستقيم قد يكون أقصر طريق وأوضحه ، إلا أنه يمنع منه موانع كالحذر من سوء فهم الآخرين ، أو الحرص على عدم تجاوز حد معين في العلاقات ، أو غير ذلك..
ومــحــاولـــة تـقـلـيـل آثار تلك الممارسة السياسية في العلاقات - إلا فيما تصلح له -أنفع للمجتمع الإسلامي، والنفس المسلمة وإن كانت في حالة إيمانها أرفع مما يدركه ذلك العالم الإنكليزي ، إلا أنها لا تسلم من أن تتعرض لتلك النوازع البشرية العامة خيرها وشرها.
من هنا تنشأ أهمية توجيه الهمة إلى تحليل تلك العلاقات والنوازع التي تنشأ من ضرورة التعاون أولاً ، ومن طبيعة النفس ثانياً ، ثم من سنن الاجتماع ونتائجه أخيراً.

ونحن لا نقصد في هذا المقال إلى استقصاء مثل تلك الدراسات ، أو بسط ما فيها بالشرح والنقد ، وإنما قصدنا إلى أن نؤكد على ضرورة أن نولي هذه النوعية من البحث مزيداً من الاهتمام ، وأن تبني على هدى القرآن والسنة ، ومراجعة ما أفرزته العقول البشرية في هذا المضمار ، كما ضربنا أمثلة من ذلك التناول ومنهجه ، لما يمكن أن يكون مجالاً للبحث والتحليل في التركيبة الإسلامية الاجتماعية المعاصرة.

ولعل الله سبحانه أن يلهمنا الصواب في القول والعمل جميعاً.

الهوامش:

1- انظر ابن كثير 1 / 422 ، و :في ظلال القرآن 1/494.

2- في ظلال القرآن 5 /2831.

3- محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية 1 / 162 وبعدها.

4- دستور الأخلاق في القرآن لدراز / 23.

5- المصدر السابق / 24.

6- المصدر السابق / 25 - 27.

7- Weber, Max. The theory of social and economic Organization P 341 - 392, and pugh, D.S Writers on Organizations P15.

8- كذلك يمكن.الرجوع إلى مصادر أخرى لهذا الموضوع مثل:

Pugh, D.s. Writers on organizations Power and Politics , pfeffer. Psychology. of Group. lnfluance,p.pulou.